الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة

الموضوع:

# عنوان البحث: الأسس الفلسفيّة لنظرية التربية عند الغزالي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالب: إشراف:
سيلم ياسين الأستاذ لصقع الربيع

السنة الجامعية: (2016/2015)

بسم الله الرحمن الرحيم

## الإهداء:

إلى الوالدين الكرمين وإلى أستاذي ومشرفي الفاضل لصقع ربيع.

# فهرست

# المحتويات

# الفهرست:


| | الصفحة |
|---|---|
| -**مقدمة:**..... | **أ- ب** |
| **– الفصل الأول: عصر الغزالي ومصادر فكره**..... | **04** |
| **– المبحث الأول: حياة الغزالي**..... | **04** |
| **–المبحث الثاني: أوضاع المسلمين**..... | **06** |
| 1-الأوضاع السياسية..... | **07** |
| 2-الأوضاع العلمية..... | **09** |
| 3-الأوضاع الاجتماعية..... | **11** |
| 4-الأوضاع الفكرية والدينية..... | **13** |
| أ-المتكلمين..... | **13** |
| ب-الفلاسفة..... | **14** |
| ج-الباطنية..... | **14** |
| د-الصوفية..... | **14** |
| **– المبحث الثالث: المصادر التي تأثر بها الغزالي**..... | **15** |
| 1- مصدر الشريعة..... | **15** |
| 2- مصدر الفلسفة..... | **16** |
| 3-مصدر التصوّف..... | **16** |
| **المبحث الرابع: مؤلفاته**..... | **18** |
| 1-في الفقه والاصول..... | **18** |
| 2-في التصوف..... | **18** |
| 3-في المنطق والفلسفة..... | **19** |
| 4-في التربية..... | **19** |
| أ-كتاب فاتحة العلوم..... | **19** |

| | |
|---|---|
| ب-رسالة أيها الولد..... | **20** |
| ج-كتاب إحياء علوم الدين..... | **20** |
| **الفصل الثاني: طبيعة الفكر التربوي عند الغزالي**..... | **22** |
| **المبحث الأول: الانسان**..... | **22** |
| 1-ماهية الانسان..... | **23** |
| أ-الجانب الجسمي والروحي..... | **24** |
| ب-الجانب النفسي..... | **25** |
| ب-1 النفس ..... | **26** |
| ب-2 القلب..... | **27** |
| ب-3 الروح..... | **27** |
| ب-4 العقل..... | **28** |
| 2-جانب الخير والشر في الانسان..... | **30** |
| 3-الحرية الانسانية..... | **31** |
| **المبحث الثاني: العلم**..... | **34** |
| 1-مفهوم العلم..... | **34** |
| 2-أهمية العلم والتعليم..... | **35** |
| 3-أصناف العلم وأقسامه..... | **36** |
| أ-العلوم المحمودة والمذمومة..... | **36** |
| ب-فروض العين وفروض الكفاية..... | **37** |
| ج-العلوم الشرعية والعلوم العقلية..... | **37** |
| **د-**تقسيم العلوم حسب ضرورتها وأهميتها..... | **38** |
| 4-الغزالي والمعلم..... | **39** |
| **5-**الغزالي والمتعلم..... | **42** |
| **المبحث الثالث: المعرفة**..... | **46** |
| 1-شك الغزالي في الحس..... | **47** |
| 2-شك الغزالي في العقل..... | **47** |
| 3-اليقين عند الغزالي..... | **48** |

| | |
|---|---|
| 4-دور التربية في الوصول إلى المعرفة اليقينية..... | **50** |
| **الفصل الثالث: أسس التربية عند الغزالي**..... | **54** |
| **المبحث الأول: مفهوم التربية**..... | **54** |
| 1-لغة..... | **54** |
| 2-اصطلاحا..... | **55** |
| أ-التربية بالمعنى الفردي..... | **55** |
| ب-التربية بالمعنى الجماعي..... | **56** |
| ج-التربية بالمعنى المثالي..... | **56** |
| 3-التربية عند الغزالي..... | **56** |
| **المبحث الثاني: ميادين التربية عند الغزالي**..... | **57** |
| 1-التربية النفسية..... | **57** |
| 2-التربية الجسمية..... | **58** |
| 3-التربية العقلية..... | **61** |
| 4-التربية الاخلاقية..... | **63** |
| 5-التربية الاجتماعية..... | **64** |
| **المبحث الثالث:** طرق التربية عند الغزالي..... | **66** |
| 1-القدوة..... | **66** |
| 2-التكرار..... | **67** |
| 3-الممارسة والعمل..... | **68** |
| 4-الثواب والعقاب..... | **69** |
| 5-الحوار والمناقشة..... | **70** |
| 6-الموعظة والنصح..... | **71** |
| 7-القصص..... | **71** |
| **الفصل الرابع: أبعاد التربية عند الغزالي**..... | **75** |
| **المبحث الأول: محورية الدين** ..... | **75** |
| 1-فهم الغزالي للدين الاسلامي..... | **76** |
| 2-علاقة الدين بالتربية..... | **78** |

| | |
|---|---|
| **المبحث الثاني: الاخلاق والقيم** ..... | **80** |
| 1-مفهوم الأخلاق..... | **81** |
| 2-التربية وتغيير الاخلاق..... | **82** |
| 3-تربية الطفل على الاخلاق الحسية..... | **84** |
| **المبحث الثالث: الاهداف والغايات**..... | **86** |
| 1-الكمال الانساني..... | **86** |
| 2-طلب العلم لذاته..... | **87** |
| 3-تربية النفس على الفضيلة..... | **89** |
| **خاتمة**..... | **92** |
| **فهرست الآيات**..... | **96** |
| **فهرست الأعلام**..... | **98** |
| **قائمة المصادر والمراجع** ..... | **100** |

# مُقدّمة

مقدّمة:

يعتبر موضوع التربية والتعليم من بين أهمّ الموضوعات وأعظمها شأنا، استأثر باهتمامه جميع الأمم عبر كلّ العصور، واهتمّ به العلماء والمفكرين، فكتبوا فيه الكتب وألفوا فيه الرسائل، وما زالوا على هذا النهج سائرين، وليس هذا بغريب لأن التربية والتعليم، أساس كلّ تقدم وإصلاح وعنوان كلّ تغيير ونهضة والطريق الموصل إلى تهذيب النفوس وتثقيف العقول وبناء الأمم.

والحقّ أنه عن طريق التربية ننشئ الفرد الصالح والأسرة الصالحة والمجتمع الصالح وتنمو المفاهيم الإنسانية الخيرة بين بني البشر، لذلك كان موضوع التربية محطة اهتمام الأمم بصورة عامة، وجدير بأمتنا العربية الإسلامية أن تعنى به بصورة خاصة لأنه معقد الرجاء ومحطّ الأمل لكلّ تقدم وتطور للفرد والمجتمع، فبالتربية والتعليم تصنع الأجيال وتتطور المجتمعات وترقى الدّول ويمكن لها أن تدخل في صفّ الحضارة وهذا متوقف على قوة المنظومة التربوية التي تتبناها.

ولأنّ التربية لا توجد من فراغ بل هي وعاء وأساليب وإجراءات ينقل بها تراث الأمة من الأجداد إلى الأحفاد ومن الآباء إلى الأبناء، كان الغزالي من بين أهمّ الفلاسفة والمفكرين الذين خلفوا تراثا تربويا عظيما ،كان محط دراسات متعددة، غير أن ما أثار انتباهي في هذه الدراسات هو غلبة الطرح الديني على الطرح الفلسفي، وهذه النظرة جاءت من خلال الفهم الخاطئ لموقف الغزالي من الفلسفة و الدين، هذا ما دعاني للبحث في الأمر واستقصاء جوانبه المختلفة.

ومن بين أهمّ الدراسات التي اطّلعت عليها كانت للباحث "أيوب دخل الله" وهي دراسة تحت عنوان " التربية الإسلامية عند الغزاليّ" نال بها درجة الماجيستير في الدراسات الإسلاميّة من كلية الإمام الأوزعي للدراسات الإسلامية، وقد تمّ نشر هذه الدراسة سنة 1996 م، لكن ما يعاب على هذه الدراسة أنّ الباحث ركّز أكثر على إبراز الأسس الدينية لنظرية التربية عند الغزاليّ مهملا الأسس الفلسفية التي قامت عليها، ولهذا كانت الرغبة أكثر في إعادة النظر في آراء الغزاليّ التربوية وإبراز الأسس الفلسفية التي قامت عليها نظرية الغزاليّ

التربوية وعليه سأحاول من خلال هذه الدراسة أن أقف على إشكالية هامّة مفادها: **هل نظرية التربيّة عند الغزاليّ قامت على أسس فلسفيّة؟**.

وهذه الاشكالية حاولت أن أجيب عليها معتمدا على المنهج التحليليّ الذي يعتمد على تحليل النصوص والفهم الموضوعي لها في سياقها الذي وردت فيه، وعبر المنطق المسيطر على هذا الفكر.

ومن أجل إيجاد حلّ لهذه الاشكالية، حاولت في هذا البحث المتواضع الذي قسّمته إلى أربع فصول، تعرضت في الفصل الأول إلى عصر الغزاليّ والمصادر التي تأثر بها حيث تناولت فيه أربع مباحث: حياة الغزاليّ وأوضاع المسلمين ومؤلفاته والمنابع التي تأثر بها الغزاليّ كما تطرقت في الفصل الثاني إلى تحديد طبيعة الفكر التربويّ عند الغزاليّ، يندرج تحته ثلاث مباحث: الإنسان، العلم، المعرفة، ثمّ انتقلت في الفصل الثالث إلى إبراز أسس التربية عند الغزاليّ، وخصصت فيه هو الآخر ثلاث مباحث: انطلاقا من مفهوم التربية إلى ميادين التربية، ثمّ طرق التربية، إلى أن انتهيتُ في الفصل الرابع إلى أبعاد التربية عند الغزاليّ متناولا ثلاث مباحث: محورية الدين والأخلاق وكذا الأهداف والغايات.

أمّا أهمّ الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث هو أنّ الغزاليّ ترك مؤلفات كثيرة جدا ومتنوعة يصعب حصرها وتكوين صورة متكاملة عن محتواها، وفيما يخصّ أهمّ المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في دراستي هذه نذكر أهمّ مصدرين للغزالي هما "إحياء علوم الدين" و"رسالة أيها الولد" ومرجع لمحمد منير مرسي "التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية".

# الفصل الأوّل:

# عصر الغزالي ومصادر فكره

## الفصل الأول: عصر الغزالي ومصادر فكره

### المبحث الأول: حياة الغزالي

ولد أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي*سنة 450 هـ، الموافق لسنة: 1059 م، بمدينة طوس[1]، المسماة بغزالة، ترعرع في جوّ صوفيّ من طفولته، وهو يقول في كتابه المنقذ من الضلال الذي يترجم فيه حياته الروحية، أنه لما فرغ من العلوم العقلية أقبل على طريق الصوفية، فعلم أن طريقهم تتمّ بعلم وعمل.[2]

فهو فيلسوف ومتكلم وفقيه ومتصوف عربيّ، من أبرز مفكّري العصر الذهبي في الإسلام، لقبه أبناء دينه بحجة الإسلام، درس في نيسبور وأخذ عن المتكلم والفقيه المشهور الجويني، الذي لقب بإمام الحرمين.[3] حيث نهل منه كبرى مسائل الفقه والعلوم والمنطق والأصول، كما تلقى عليه أصول المذهب الأشعريّ واستفاد منه كثيرا.[4]

ولما توفيّ الجويني عام 478هـ، ترك الغزالي نيسبور ورحل إلى بغداد، وحدث أن عهد إليه بالتدريس في المدرسة النظامية، التي أسسها في بغداد، وكان ذلك عام 1091م ونال الغزالي في هذه الفترة شهرة كبيرة، حتى أطلق عليه حجة الإسلام وعالم الدين، وقد قام الغزالي كذلك بدراسة الفلسفة اليونانية، والمذاهب الدينية المختلفة وتعمق في هذه الدراسات آملا أن تساعده على الوصول للمعرفة الحقة التي ينشدها.

وقد ظل الغزالي بالمدرسة النظامية نحو أربع سنوات، ثمّ تغيرت حياته بعد ذلك، كما تغيرت نظرته للحياة، فكتب يقول: "**وكان ظهر عندي أنه لا مطمع لي في سعادة**

---

* لقلب الغزالي اختلف فيه الباحثون: فمنهم من نسبه إلى مهنة والده الذي كان يمتهن غزل الصوف، ومنهم من نسبه إلى بلدته غزالة.

[1] – مصطفى غالب: الغزالي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1989، ص 16.

[2] – عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية، دار رشاد، ط1، 1992، ص 306.

[3] – جورج طرابشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، 2006، ط3، ص 429.

[4] – عبد القادر تومي: من حكم الفلاسفة، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ط1، 2011، ص 12.

**الآخرة، إلا بالتقوى، وكفّ النفس عن الهوى، وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا ".**[1]

وفي هذه النقطة بالتحديد، عيب على الغزالي أنه شهد كوارث ضخمة في حياة الأمة الإسلامية ولم يتحدث عليها في أي كتاب من كتبه، فقد غزى الصليبيون أنطاكيا واقتحموا القدس سنة 495هـ، وكان الغزالي لا يزال في عزلته، إذ لم يفارقها إلا في سنة 499 هـ ولكنه بعد ترك العزلة والعودة إلى حياة التدريس لم يبد منه ما يدلّ على عنايته بهذا الأمر الذي يتعلق بمصير الأمة، مما جعل بعض الباحثين، يرى أن الغزالي وقف وقفة سلبية وكان أكبر همه هو إنقاذ نفسه من الهلاك، حين هجر الدنيا مخلفا ورائه كل شيء.[2]

فما لنا لم نسمع صوت الغزالي هنا؟، وهو صاحب الكلمة المسموعة، وما له لا يتحدث عن الجهاد؟، وما له لا يحرك الجماهير؟ كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية من بعده. ربما كان الشغل الشاغل للغزالي في هذا هو إصلاح النفس من الداخل، وأن الفساد الداخلي هو الذي يمهد إلى الغزو الخارجي، لذلك وجه أكبر همه إلى إصلاح الفرد الذي هو نواة المجتمع، وإصلاح الفرد يكون بإصلاح قلبه وتفكيره، وبذلك يصلح عمله وسلوكه وتصلح حياته كلها.

وقد أقام الغزالي على هذا الحال نحو عشر سنين، ثم عاد بعد ذلك إلى مسقط رأسه إلى أن استدعاه فخر الملك ابن الوزير، نظام الملك للتدريس مرة أخرى.[3] إلى أنه كان قد أصبح مدرسا من طراز آخر، فبعد أن كان مدرسا لعوم الدين، أصبح إماما متصوفا ومرشدا دينيا، متفانيا في أداء رسالته، وقد ظل الغزالي عدة سنوات في بغداد، ثم رحل بعد ذلك إلى نيسبور، واشتغل بالتدريس فيها مدة قصيرة، وعاد بعدها إلى طوس، حيث أنشأ مدرسة

[1] – الغزالي: المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، دمشق، 1939، (ب ط)، ص 30.

[2] – أنظر يوسف القرضاوي: الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط4، 1994،ص172-174.

[3] – بهيّ الدين زيان: الغزالي ولمحات عن الحياة الفكرية الإسلامية، مكتبة النهضة، مصر، (ب ط) 1958، ص 39.

للفقهاء ووزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ومجالسة أرباب القلوب والتدريس لطلبة العلم، إلى أن فارقته المنية يوم الإثنين: الرابع من جمادى الأولى سنة 1111 م.[1]

**المبحث الثاني: أوضاع المسلمين**

بعد أن تحدثنا عن الأحوال الشخصية المتعلقة بالإمام لغزالي، أصبح من الضروري علينا، الحديث عن الأوضاع التي أحاطت به، لأن الأوضاع التي تحيط بالشخص والبيئة التي يعيش فيها لها دخل كبير في تكييف حياته وطبعها بطابع خاص، فنوع التربية التي يتلقاها في البيت والمدرسة والروح التي تسود أساتذته ومعلمه والكتب التي يقرأها والأحوال السياسية والاجتماعية والفكرية القائمة في عصره، كلها عناصر هامة في تكوين شخصيته وتعيين اتجاهها.

فالتربية التي هي بطبيعتها مشروطة بالزمان والمكان ويستحيل على الباحث التربويّ أن يحيط علما بأي نظام تربوي في جميع المجتمعات دون أن يتعرف على الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الدينية، فدراسة هذه الأبعاد إنما هي جزء أساسي في البحث لأن التربية تشقّ أهدافها ونظامها ومنهجها من المجتمع، وتتأثر بفلسفته وايدلوجيته وعليه فإنّ -لا محيص- ونحن نسعى جهد الإمكان لتفهم أراء الإمام الغزالي التربوية من الرجوع إلى عصره الذي عاش فيه، والأوساط التي احتضته.[2]

هذا وقد رأينا أن نعالج هذا العصر من خلال النقاط التالية:

1-الأوضاع السياسية 2-الأوضاع العلمية 3-الأوضاع الاجتماعية 4-الأوضاع الدينية والفكرية.

[1] - محمود عبد الرزاق شفشق: الأصول الفلسفية للتربية، دار البحوث العلمية، الكويت، ط4، 1982، ص 130-131.

[2] - عبد الحميد خطاب: الغزالي بين الدين والفلسفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (ب ط) 1986، ص 21-22.

**1-الأوضاع السياسية:**

لقد اتسم عصر الغزالي بانحلال سياسي وعسكري وأخلاقي، استولت فيه العناصر التركية على الحكم في بغداد، فأصبح السلاجقة أصحاب السلطة الفعلية في بغداد وهددت الإسماعلية والباطنية الخلافة، وسقطت أنطاكيا والقدس في أيدي الصلبيين وبينما كان السلاجقة ينشؤون المدارس النظامية للدفاع عن المذهب السني، كان الفاطميون في مصر ينشطون في الدعوة المنظمة للمذهب الشيعي ويجعلون من الأزهر مركزا لها.[1] فقد بلغ الصراع الشيعيّ السني ذروته في ذلك الوقت، بين الدولة العباسية في بغداد والدولة الفاطمية بالقاهرة، يقول زكي مبارك في كتابه الأخلاق عند الغزالي: " **إن أكثر ما يحتلّ رؤوس المسلمين من الأفكار والعقائد ليس إلا أثرا للدعوات المتعددة التي قام بها العباسيون في الشرق والفاطميون في الغرب**".[2] وانقسمت الدولة الإسلامية الكبرى إلى دويلات صغيرة وقد تحول هذا الصراع إلى صراع عقائدي أصبح من أهم أسلحته الدعاية وبرع الشيعة الفاطميون في استخدام هذه الوسيلة إلى حدّ بعيد وقد أثر هذا الصراع السياسي في العالم الإسلامي أبعد تأثير وترتب عليه حركة إنشاء المؤسسات التعليمية التي اتخذت كسلاح في هذه الحرب.[3] وأن هذا الصراع لم يكن صراعا دينيا كما يبدو وإنما كان صراعا سياسيا من أجل الملك، ذلك أنه من المتعسر أن نجد أمة تدين بالإسلام تحارب أختها باسم السياسة والملك في دعوة صريحة، لهذا لجأت كلّ واحدة إلى خصّ نفسها بالهداية والرشاد ورميّ غيرها بالضلالة والمروق والغواية، وكانت الجماهير وقودا لبناء الفتن الناجمة عن هذا في مصر والشام والعراق وخرسان وغيرها من ممالك المسلمين.[4]

ولأن الدين كان هو الوسيلة الوحيدة في ذلك الوقت لإقامة صرح الملك، إذ خلط الزعماء السياسيون الدين بالسياسة ليصبغوا أغراضهم بصبغة دينية، حتى يوهموا العامة أنهم

---

[1] – محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (ب ط) 1990، ص 335.

[2] – زكيّ مبارك: الأخلاق عند الغزالي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (ب ط) 1968، ص 14.

[3] – سيد إبراهيم الجيار: دراسات في تاريخ الفكر التربويّ، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1994، ص 146-147.

[4] – عبد الحميد خطاب: الغزالي بين الدين والفلسفة، ص 50.

بعيدون عن المطامع الشخصية، يقول سليمان دنيا: "**وقد عرف الرؤوساء بذلك كيف يسيطرون على نفوس العامة، لأن الدين له تأثير كبير على النفوس**".[1] لذلك أنشأ السلاجقة المدارس في بغداد ونيسبور تعلم مبادئ أهل السنة، لأنهم كانوا سنيين.

ولقد كان للأوضاع السياسية انعكاسا واضحا على الإمام الغزالي الذي اعتبر السياسة من أشرف العلوم، فكانت له مواقف هامة على الحكم والحكام، فكان يلتفت إلى أحوال الرعية فيجدها متدهورة، يغشها ظلم الساسة وجورهم، حيث يقول: "**فأمرائنا ظلمة جائرون، وغشمة معتدون**".[2] لذا لم يسع الغزالي إلا أن يجند قلمه ولسانه ويسعى في التخفيف عن بعض ما تلقاه الرعية من ظلم وجور من طرف الحكام، وفي هذا اتجه إلى السلاطين بنصحهم بالكفّ عن الجور والظلم، وبدعوتهم للإقبال على الرعية والنظر في شؤونهم مستعملا في ذلك أسلوبه الشهير، الترغيب والترهيب انطلاقا من مبدأ الأمر بالمعروف و النهيّ عن المنكر، يقول مخاطبا السلطان السلجوقيّ غياث الدين أبا شجاع محمد ابن ملكشاه: "**فانظر أيها السلطان إلى عمر بن الخطاب مع احتياطه وعدله، وما وصل أحد إلى تقواه وصلاحه، كيف يفكر ويتخوف من أهوال يوم القيامة، وأنت قد جلست لاهيا عن أحوال رعيتك، غافلا عن أهل ولايتك**".[3]

وقد توجه كذلك بالنصح إلى الناس في تعاملهم مع رجال السلطة وأهل الحكم ويحدث على مقاطعتهم، لأنهم مصدر بلاء وفساد، حيث يقول فيهم: "**الداخل على السلطان متعرض لأن يعصي الله تعالى، إما بفعله أو سكوته، وإما بقوله ، وإما باعتقاده، فلا ينفكّ عن أحد هذه الأمور**".[4] ويشير في نصيحته لطلابه بقوله:" **ألا تخالطوا الأمراء والسلاطين، ولا تراهم لأن رؤيتهم ومجالستهم ومخالطتهم آفة عظيمة**

[1] – سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، دار المعارف، مصر، (ب ط) 1965، ص 15.

[2] – الغزالي: التبر المسبوك في نصيحة الملوك، تحقيق محمد مصطفى أبي العلاء، شركة الطباعة الفنية المتحدة، مصر، (ب ط) 1967، ص 66.

[3] – نفسه، ص 21.

[4] – نقلا عن أيوب دخل الله: التربية الإسلامية عند الإمام الغزالي، المكتبة العصرية، بيروت، (ب ط) 1996، ص 76.

**...، لأنه يتولد منه المداهنة ومراعاة جنابهم، والموافقة في ظلهم، وهذا كله فساد في الدين**".[1] فالغزالي لم ترهبه سلطة السلاطين عن قول كلمة الحقّ.

**2-الأوضاع العلمية:**

ليس من العجيب أن تزدهر الحركة العلمية في ظل هذه السياسة، وهذا راجع لـ:

أنّ العلماء لما رأوا ظلم هذه السياسة انصرفوا إلى العلم، وهو الملجأ الآمن، حتى لا نجد بعضهم يأنف كلّ الأنفة أن يتصل بالأمير أو الوزير، ويريد أخذ شيء من عطاياه، وهذا كان حال الغزالي الذي كان يفضل العيش النكد، على العيش الرغد، رغم مكانته عند الأمراء والسلاطين، وكذلك أن الأمراء والوزراء كانوا يتخذون العلماء زينة يزينون بها قصورهم، مما حفز بعضهم لطلب العلم، ليلفت نظرهم وبالتالي رضاهم، لينتفع مما في أيديهم.[2]

ويعتبر العصر السلجوقي عصر ازدهار في العلوم العربية، ونهضة في الثقافة الإسلامية والمعارف الإنسانية، ففي سنة 457 هـ بدأ قوام الدين نظام الملك* الوزير العالم في وضع أساس المدارس التي سمها باسم النظامية في كل مدن العراق وفارس، وبديهيّ أن يختار الرجال الأكفاء في كل مجالات المعرفة، فكان الإمام الغزالي من ألمع أساتذة هذه المدارس يقول ابن جبير: "**ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة تتصير إلى الفقهاء المدرسين بها، ويجرون بها على الطلبة، ما يقوم به**".[3] كما كانت هناك مجالس العلم والوعظ والتصوّف التي بلغ طولها مئة وسبيعين ذرعا وعرضها مئة وعشرين ذراعا، هذا من الرجال، أما النساء التي شغلوها أكثر من ذلك.[4]

ولقد ظهر في هذا العصر علماء في الفقه والحديث واللغة والفلسفة والأدب والتاريخ، وازدهرت فارس كما ازدهرت مصر والشام والمغرب والأندلس، في كل المجالات وأجناسهم مختلفة، لكن انتمائهم كان للإسلام ولذلك فإن المؤرخين يعتبرون العصر العباسي

[1] – الغزال: أيها الولد، تحقيق جميل ابراهيم حبيب، دار القادسية، السعودية، (ب ط)، (ب ت)، ص 46.

[2] – أنظر عبد الحميد خطاب: الغزالي بين الدين والفلسفة، ص 59.

* – أبو عليّ الحسن بن اسحاق الملقب، نظام الملك قوام الدين الطوسيّ(408- 485)هـ.

[3] – نقلا عن حسن الفاتح قريب الله: دور الغزالي في الفكر، مطبعة الأمانة، مصر، (ب ط) 1978، ص 14.

[4] – عبد الرحمن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج 9، مطبعة دار المعارف العثمانية،(ب ط) (ب ت)، ص 75.

الثاني أعظم العصور لنهضة اللغة العربية، والسموّ بأدبها ونبوغ في علومها ومعارفهم، ومن هؤلاء الشاعر والفيلسوف عالم الرياضيات والفلك عمر بن ابراهيم الخيام النيسبوري، المتوفي سنة 515هـ والأديب الكبير صاحب المقامات المسماة مقامات أبي زيد السروجي الحريري المولود سنة 1054م، والمتوفي سنة 1122م، وهناك علماء سجلوا أعظم ما كتب في التصوّف والملل والأديان، وعلى رأسهم عبد الكريم في هوزان النيسبوريّ المعروف بـ القشيري المولود في سنة: 986م، المتوفي سنة 1076م.[1] وإمام الحرمين أبو المعالي عبد الله الملك بن يوسف ابن محمد الجويني، شيخ الإمام الغزالي له مصنفات كثيرة، منها: الرسالة النظامية في الأركان الإسلامية، والبرهان في أصول الفقه، قال عنه الإمام السبكيّ: " **لا شك ذو خبرة أنه كان أعلم أهل الأرض بالكلام والأصول والفقه والخلاف والجدل**".[2]

ولقد أحبّ الغزالي العلم والتعليم، وهو يحكي رحلته العلمية في كتابه المنقذ من الضلال، وهو يقول: "**ولم أزل في عنفوان شبابي وريعان عمري ...، إلى أن قد آنفت السن على الخمسين، أقتحم لجة هذا البحر العميق، وأخوض غمرته خوض الجسور،لا خوض الجبان الحذور، وأتوغل في كلّ مظلمة وأتهجم على كل مشكلة وأقتحم كلّ ورطة ، وأتفحص عقيدة كل فرقة** ".[3] ويواصل قوله:" **وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديني من أول أمري وريعان عمري...، حتى انحلت عني رابطة التقليد** ".[4]

وانطلاقا من هذا استطاع الغزالي أن يحدد موقفه من العلم والعلماء في عصره، فكثيرا ما نراه يشنّ الغارة على العلماء الذين يكثرون الجدل، ويتظاهرون على العلم والدين وهم في الواقع طلاب جاه ومال، يقول فيهم: " **إنّ عاهة المجتمع تكمن في بعض علمائه الذين**

[1] – أنظر الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق إصلاح عبد السلام الرافعي وعبد الصبور شاهين، (ب ت) (ب ط)، ص 17-18.

[2] – نفسه، ص 18.

[3] – الغزالي: المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تحقيق جميل صليبا، كمال عياد، دار الأندلس، بيروت، لبنان، (ب ط)، 2003، ص 79-80.

[4] – نفسه، ص 80-81.

**استحوذ على أكثرهم الشيطان واستهواهم الطغيان، وأصبح كلّ واحد يعالج حظه فأصبح يرى المعروف منكراً، والمنكر معروفا**".[1]

وقد ذكر الغزالي ما قد ورد في علماء السوق، من تشديدات على أنهم أشد الناس عذابا يوم القيامة، يقول: "**فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة، ونعني بعلماء الدنيا علماء السوق، الذين قصدهم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها** ".[2] فعاب الغزالي على بعض علماء عصره أن أقوالهم لم تكن موافقة لأعماله وهذا قد حذر منه كثيرا. يقول: "**يجب على المعلم أن يكون عملا بعلمه، فلا يكذب قوله فعله**".[3] لذلك اعتزل الغزالي التعليم لأنه كان يرى فيه مكسبا للمال والجاه، لكن بعد رجوعه للتدريس مرة ثانية تغيرت نظرته فأصبح يقوم بالتعليم ابتغاء مرضاة الله، يقول: "... **وأما الآن فأدعو إلى العلم الذي به يترك الجاه، هذا هو الآن نيتي وقصدي وأمنيتي، يعلم الله ذلك مني**".[4] وهذا يدلّ على صمود الغزالي بوجه التخريب والمنكر وشجاعته في طلب الحق والعدل وابتغاء الآخرة دون الدنيا.

**3-الأوضاع الاجتماعية:**

لا بدّ أنّ للأوضاع السياسية والعلمية التي تمّ ذكرها سالفا، كان لها انعكاس كبير على البيئة الاجتماعية، فالبيئة الاجتماعية في العصر السلجوقي آن ذاك، شهدت امتزاج العرب مع غيرهم من الشعوب، حيث كان لهذا الامتزاج آثارا على الأخلاق والقيم والمعتقدات فكثرت الفتن وتفاقمت ، الأشاعرة يكفرون ويزندقون الشيعة ، والمعتزلة يكفرون ويزندق الحنابلة الشافعية ، وسائر أتباع المذاهب الأخرى من جانب آخر.[5]

[1] – الغزالي: إحياء علوم الدين، ج1، دار الشعب، القاهرة، ص 02.

[2] – الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق بداوي طبانة، ج1، دار العلوم، القاهرة، (ب ت) (ب ط)، ص 58.

[3] – نفسه، ص 58.

[4] – نفسه، ج3، ص 12.

[5] – حسن الفاتح: دور الغزالي في الفكر، ص 12.

وكان يغلب على أفراد المجتمع الاهتمام بالمظاهر البراقة، كالمباني الفخمة واللوحات الجميلة ومظاهر الترف، والملبس والحفلات ومجالس اللهو، على الجانب الفكريّ والعلميّ وحيث أن السلاجقة كانوا قوما غلبت عليهم البداوة، وانتصر سلاطينهم الأوائل إلى الثقافة فلقد وجدوا أنفسهم بحاجة إلى موظفين أكفاء لإدارة الشؤون المختلفة لدولتهم، الأمر الذي تسبب في ظهور طبقة الموظفين، التي تلت طبقة السلاطين وكان من أبرز أفراد هذه الطبقة الوزراء والحجاب والكتاب[1] حيث أنهم لعبوا دور كبير في الحياة الاجتماعية.

ومن فئات الشعب التي كانت معروفة في العهد السلجوقي فئة الرقيق، وكان أكثرهم من شعوب غير مسلمة، انتزعوا قسرا من بلدانهم أو أسروا في الحرب، أو اشتروا بالمال. ونتيجة للاضطرابات السياسية وتفشي الفساد والجهر بالفسق وسيطرة القلق على نفوس العامة، شاع الشكّ وانعدم الإخلاص بين الناس، مما شجع على الميل إلى الاعتكاف والوحدة والانفراد، هربا من الواقع وطلبا للعزلة، بعد أن يئسوا من العدالة الإنسانية فاختلوا بأنفسهم وانصرفوا ينشدون العدالة الإلهية.[2] فانتعشت الحركة الصوفية بحيث أصبحت جماعة رجال الصوفية من أبرز فئات المجتمع في ذلك العصر، علاوة على ذلك كون الصوفية الملاذ والعلاج لآفات وأمراض المجتمع السلجوقيّ.

إنّ هذه الأوضاع الاجتماعية المتردية، جعلت من الغزالي يمرّ بمرحلتين: مرحل الزاهد المتعبد، ومرحلة المصلح الاجتماعيّ، فقد لجأ الغزالي للعزلة والتزهد في الحياة خوفا على عقيدته من الفساد، لأن عصره كثرت فيه المحن والاضطرابات يقول الغزالي: "**إنّ الزمان زمان الفتن، والدنيا طافحة بالمحن والاضطراب عمّ في سائر البلاد**".[3] وهنا انتقد الغزالي ذلك أنه اعتزل المجتمع، في حين كان المجتمع بحاجة إليه، يقول الدكتور يوسف موسى: "**إن هؤلاء المتصوفة ومن إليهم يسعون وراء سعادتهم الخاصة، قوم أنانيون بل قوم جمعوا**

[1] – عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1970، ص 179-180.

[2] – عبد الحميد خطاب: الغزالي بين الدين والفلسفة، ص 58.

[3] – الغزالي: فضائح الباطنية، تحقيق عبد الرحمن بدوي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (ب ط)، 1964، ص 186.

**إلى الأنانية صفة أخرى، أنهم طلوها بطلاء من الدين يخدع الجهال، فيحسبون أنهم صفوة خلق الله".**

فهو يرى أنّ الغزالي، كان يبحث عن مصلحته الشخصيّة لا عن مصلحة الأمّة، وفي هذا ظهرت أنانيته. ولكن ما نراه أن الغزالي عاد في المرحلة الثانية إلى الحياة العملية ورأى أنّ الابتعاد عن الناس والتزهد مضيعة لحقوق الناس وهلاك الأمة الإسلامية لأنه رجع بعدها إلى التدريس وألف كتاب إحياء علوم الدين الذي عقد فيه إحياء الدين وإصلاح المجتمع وعكس ما قيل عنه لم يحرم الناس من الانتفاع بفكره، ليكون بذلك من أكبر المصلحين في مجتمعه.

**4-الأوضاع الفكرية والدينية:**

إنّ القرن الذي عاش فيه الإمام الغزالي كان أشبه بالمحيط يموج بشتى أنواع التيارات والأفكار والعلوم والمعارف والفلسفات والعقائد والمذاهب...، تتدافع إلى خضمه من جميع جوانبه لتصبّ في عصارة الفكر الإنساني، فعصر أبي حامد انتهت إليه صفوة الدراسات الإسلامية في القرآن العظيم وتفاسيره ولغته وألفاظه وأسلوبه وبلاغته ووجوه إعجازه، وسائر علومه وفنونه. كما انتهت إليه خلاصة الدراسات الإسلامية في السنة النبوية دراية ورواية كما وصلت إليه آثار الصحابة وآثار تلاميذهم، من الأئمة التابعين علما وعملا، وآثار ما جاء بعدهم من أئمة العلم.[1] وهذه الدراسات أفرزت الاختلافات الفكرية في جوانب العقيدة التي نشأت عنها الطرق الإسلامية وغيرها من المذاهب الدينية والنحل في أصول الدين والفلسفة وقد قسم الغزالي المذاهب الفكرية التي كانت سائدة في عصره إلى أربع طوائف تتمثل في: اتجاهات المتكلمين والفلاسفة والباطنية والمتصوفة.

**أ-المتكلمين:** فليس لهم اتجاه فكري مستقل والضرر الذي يجلبونه أكثر من النفع الذي يأتي منهم، يقول الغزالي: "**التخطيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف**".[2]

**ب-الفلاسفة:** يرى الغزالي أن الفلاسفة لم يحافظوا على وحدة العقل، حيث أنهم بعد أن وضعوا في المنطق شروط التفكير الصحيح لم يفعلوا ذلك في علومهم الإلهية، التي يحكون فيها

[1] - أنظر محمد الصادق عرجون: أبو حامد الغزالي المفكر الثائر، دار القومية للطباعة والنشر، ( ب ط) (ب ت)، ص 4.
[2] - الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق مصطفى البابلي الحلبي، ج1، القاهرة، (ب ط) 1939، ص 103.

بالظن والتخمين، يقول: "**لو كانت علومهم الإلهية متقنة البراهين، نفت عن التخمين كعلومهم الحسابية لما اختلفوا فيها، كما لم يختلفوا في الحسابية**".[1]

**ج–الباطنية:** هي طائفة دينية تريد أن تتلقى كل الحقائق من الإمام المعصوم الذي يوجد في زعمها في كل زمان ونجد أن الغزالي يرفض تعاليم الباطنية وينقضها، يقول الغزالي: "**رتبة هذه الفرقة أخصّ من رتبة كل فرقة من فرق الضلال**".[2]

**د–الصوفية:** بعدما انتهى الغزالي من نقد المتكلمين والفلاسفة والباطنية، لم يبق أمامه في مجال البحث إلا تعاليم الطائفة الصوفية، التي أعجب بها إعجابا شديدا لكنه ظل متحفظا بفكره الفلسفيّ المستقل في البحث، فلم ينقلب كما يزعم بعض المتصوفة إلى ارتيابي تشككي ولم يصبح من أنصار الفكر اللاعقليّ، بل ساعده التصوّف على تحرير فكره، يقول محمود حمدي زقزوق: "**إنّ الغزالي على الرغم من إعجابه الشديد وتحمسه البالغ للطريقة الصوفية إلا أنه لم يقع في الأخطاء التي يمكن أن تنشئ مثل هذه الأحوال، فتحمسه لم يكن تحمسا أعمى، ولهذا لم تخف عليه ضلالات ومتاهات بعض الاتجاهات الصوفيّة**".[3]

فوجد الغزالي أنّ المتصوفة قد انقطعوا عن العبادات والفلاسفة قد أوغلوا في تأويل الدين وتزييف نصوصه، والباطنينية قد فعلوا كلّ ذلك وتعصبوا والعلماء قد انحرفوا ولم يعملوا بمقتضى علمهم، فلم يرتقوا إلى مستواه، فارتكبوا المنكرات، وأتوا الفواحش وأخذوا الأموال بالباطل.[4]

ولقد توصّل الغزالي من خلال تحليله لعصره أن هذا العصر على وجه العموم قد وصل إلى درجة كبيرة من الانحدار العقليّ والخلقي والديني، لذلك وجب إصلاحه وتقويم

[1] – الغزالي: تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، ط6، (ب ت)، ص 77.

[2] – الغزالي: فضائح الباطينية، تحقيق عبد الرحمن بدوي، (د ت)، (ب ط)، ص 52-53.

[3] – محمود حمدي زقزوق: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، دار المعارف القاهرة، ( ب ط) 1998، ص 54.

[4] – عبد الحميد خطاب: الغزالي بين الدين والفلسفة، ص 80-87.

الاعوجاج فيه عن طريق التربية، فجعل الغزالي من التربية وسيلة لإصلاح المجتمع وتحسين أوضاع أمّته.

**المبحث الثالث: المصادر التي تأثر بها الغزالي**

نجد أن الغزالي من خلال الظروف التي أحاطت به والبيئة التي عاش فيها، كان متأثرا بمصادر استلهم منها فكره، تتمثل فيما يلي:

**1-مصدر الشريعة:**

من أهمّ المنابع التي تأثر بها الغزالي منبع الشريعة، فقد تأثر تأثرا واضحا بالقرآن والسنة، فدعوة الغزالي إلى الالتزام بالكتاب والسنة، تدل على تأثره بهما، لأنها الدعوة التي كان يكررها دوما في أغلب بحوثه وكتبه.

وكذلك يظهر لنا بوضوح مدى تأثر الغزالي بالقرآن والسنة في دراسته للإنسان، وهو يحاول أن يلبس الأصول اليونانية رداء إسلاميا لأنه كان يبحث دائما إلى إيجاد نوع من الانسجام بين النظريات الفلسفية في هذا الخصوص وبين الإسلام، ونستطيع أن نضرب مثلا على ذلك حين تعرّض لجوهر الإنسان فقال أنه عنصر روحيّ استطاع أن يلقى على نظريات أفلاطون وأفلوطين لباسا إسلاميا لأنها لم تكن تخالف الإسلام في هذه الناحية من رأيه.[1]

وكان الغزالي بالإضافة إلى هذا مطلعا واسعا على ما ورد في الأناجيل، فنلاحظ في كتابات الغزالي تأثرا واضحا بالفكر المسيحيّ، لا يمكن إنكاره وهذا يدلّ على اهتمامه بدراسة الأديان، ويقال أن للغزالي كتاب سماه "القول الجميل في الرد على ما غيّر الانجيل" وقد كان الغزالي يستشهد بأقوال المسيح في مناسبات كثيرة، وخاصة في كتابه الإحياء، كما أنه كان كثيرا ما يردد الحوادث والمحاورات التي كانت تجري بين المسيح وحواريه.[2] ومثال ذلك أن الغزالي عندما ألح على مجاهدة النفس ورياضها ظهر كأنه يدعو إلى الرهب والعزلة مما أدى

[1] – عبد الكريم عثمان: الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، مكتبة وهبة القاهرة، ط2، 1981، ص 31.

[2] – نفسه، ص 21.

بالبعض لنظر إليه كرجل أخلاق مسيحيّ.[1] والحقيقة أن الغزالي لم يأمر بالرهبة بل بالتقوى والفرق بين التقوى عند الغزالي والرهبة المسيحية يكون عن طريق المجاهدة التي شرحها الغزالي والتي دعا فيها إلى تصعيد الغرائز وإعلائها لا تتفق تماما مع سبيل الرهبة التي تنادي بكبت الشهوات والغرائز.

**2-مصدر الفلسفة:**

وبعد أن كوّن الغزالي لنفسه قاعدة علمية متينة في العلوم الشرعية أخذ يطلع على العلوم العقلية فقد درس الغزالي الفلسفة معتمدا على نفسه، دون معلم وكتب فيها كتابين فأصبح مسلحا بما يمكنه من منازلة كبار فلاسفة ومقارعة أفكارهم، يقول يوسف القرضاوي: "**وكان من أعناه على مهنته أنه لم يبدأ هجومه على الفلسفة إلا بعد أن درسها واستوعبها وتضلع منها حتى أصبح كواحد من أحد رجالها حتى إذا ردّ عليها كان ردّه رد الخبير بها، لا رد الدخيل عليها الغريب عنها**".[2] لكن هذا لم يمنع الغزالي من أن يقتبس كثيرا من آرائهم وقلّ أن يخلو كتاب من كتبه من آثار الفلاسفة حتى قال عنه ابن عربيّ* :"**شيخنا أبو حامد بلغ الفلاسفة وأراد أن يتقيأهم، فما استطاع**".[3] هذا يعني أن الغزالي درس الفلسفة وتأثر بها وأراد أن ينتقدها ويحاربها وما استطاع لأن كلّ رافض للفلسفة يتطلب فلسفة في حدّ ذاتها، فالغزالي درس الفلسفة لينتقدها، لكن الأمر استدعى منه فلسفة أخرى، فما استطاع الغزالي أن يتخلص منها.

**3-مصدر التصوّف:**

بعد أن طاف الغزالي ميادين المعرفة وانتهى به الأمر إلى الشك الفلسفي الذي أسلمه إلى التصوّف فوجد فيه الغزالي النجاة والعصمة، وأوصله إلى اليقين وهو يقول في كتابه المنقذ من الضلال الذي يترجم لحياته الروحية، أنه لما فرغ من العلوم العقلية أقبل على طريق

[1] -A.J.Wensinck: la pensée de Ghazzali, paris,1904,p199.

[2] – يوسف القرضاوي: الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه ، ص 24.

* – هو أبو بكر محمد ابن عبد الله المعروف بابن العربي الأندلسي، درس على الغزالي ببغداد.

[3] – نقلا عن عبد الكريم عثمان: الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص ، ص 35.

الصوفية، فعلم أن طريقهم إنما تتم بالعلم والعمل، وأنّ حاصل علومهم هو قطع النفس بالنزوات المذمومة وصفاتها السيئة حتى يتوصل الإيمان بالله تعالى وتحليه بذكره.[1] لقد طالع الغزالي مصنفات الصوفية واستفاد من آرائهم المبثوثة في كتبهم، يقول:"... **فبدأت بتحصيل علومهم من مطالعة كتبهم...، حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم**".[2] لذلك فضّل الغزالي في النهاية مذهب التصوّف لما رأى من ورع وزهد وعلم وعمل من هذا المذهب وممثليه، يقول: "**فعلمت يقينا أنهم أرباب أحوال، لا أصحاب أقوال... إني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق**".[3] لذلك أحبّ الغزالي الصوفية واتبع طريقهم.

فالغزالي كما ذكر يوسف القرضاوي، كان دخوله للصوفية دخول المحبّ العاشق، لا دخول الناقد الفاحص، فلم ينظر لعلوم الصوفية بعين النقد التي نظر بها إلى علوم الفلاسفة والباطينية، بل بعين الرضا والحبّ، والحبّ يعمي ويصمّ [4]، يقول يوسف القرضاوي:" **ويشير هذا إلى أن الغزالي تعامل مع الصوفية بقلبه قبل عقله، وهذا ما جعله يقبل أشياء دون أن يعرضها للفحص العقليّ ومن أجل هذا أنكر عليه العلامة ابن الجوزيّ وغيره من النقاد القبول للكثير من أفكار الصوفية وأعمالهم وهي مخالفة لقانون الشرع منحرفة عن الكتاب والسنة الصحيحة** ".[5]

[1] – أنظر عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية، ص305.

[2] – الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق جميل صليبا، كامل عيّاد، ص 130-131.

[3] – نفسه ، ص 131-139.

[4] – أنظر يوسف القرضاوي: الإمام الغزالي بين مادحيه و ناقديه، ص 131.

[5] –نفسه، ص 132.

ولكن المعروف عن الغزالي أنه يقدس الشرع، ويعطي أولوية للقرآن والسنة، فكيف له أن يسبقّ هواه ومصلحته على كتاب الله وسنة رسوله؟. يقول القشيريّ في هذا: "**أما الغزالي فقد تشبث دائما بنقطتين جوهريتين...، الأولى تقديسه للشرع**".[1]

**المبحث الرابع: مؤلفاته**

لقد كان الغزالي قوّة فكرية رائعة أدهش الناس بمواهبه، وقد توافرت له أدوات البيان وكان له لسان مبين، وقلم محرر، يقول عبد الحميد خطاب في غزارة فكر الغزالي وكثرة تأليفه: "**لقد كان الغزالي كثير التأليف، طويل النفس، وغزير التصنيف**".[2] ويستدلّ من كتب التاريخ أنّ مصنفات الغزالي شملت أكثر فروع المعرفة التي كانت معروفة في عصره، مثل الفقه التصوف، التربية ومثل الفلسفة والمنطق، وتضمنت مؤلفاته أيضا الردود والأبحاث في مختلف المذاهب والفرق سواء كانت دينية أو فلسفية، وسنقتصر في هذا على بعض الكتب المهمة مرتبة حسب موضوعها وغايتها.

**1-في الفقه والأصول:**

كان للغزالي إنتاج عظيم في الفقه، حيث ترك آثارا فقيهة جليلة منها كتاب الوجيز في فقه الإمام الشافعيّ، وهو أحد مؤلفات الغزالي الفقهية، يتضمن فقه مذهب الإمام الشافعيّ مع بيان مذهب الإمام مالك وأبي حنيفة.[3] وكتاب أسرار الحج كتاب في الفقه الشافعيّ بين فيه الغزالي أركان الحج، وسننه وآدابه وخصائصه وفضائله.[4]

**2-في التصوّف:**

للغزالي في هذا المجال العديد من الكتب نذكر أهمها: كتاب ميزان العمل ويشرح فيه الغزالي طريقه الصوفية الذي يقوم على العمل والمجاهدة والعلم وهذا ما يؤدي بدوره إلى

[1] - نقلا عن يوسف القرضاويّ: الإمام الغزالي بين مادحيه و ناقديه ، ص 138.

[2] - عبد الحميد خطاب: الغزالي بين الدين والفلسفة، ص 120.

[3] - الغزالي: الوجيز في فقه الإمام الشافعي، تحقيق عليّ معوض، عادل عبد الموجد، ج1، شركة دار الأرقم، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص 69.

[4] - أنظر الغزالي: أسرار الحج، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، (ب ط) 1992، ص 05.

السعادة.[1] وكتاب المنقذ من الضلال الموصل إلى ذي العزة والجلال: هذا الكتاب الذي سجل فيه الغزالي طريقه إلى الصوفية، وكتاب الجواهر الغوالي وهو كتاب من كتب تناولت مسك الغزالي الصوفي وآثاره على فهم المسائل الدينية.[2]

**3-في المنطق والفلسفة:**

نجد أن للغزالي في المنطق كتابين شهرين محك النظر ومعيار العلم، هذا الأخير أراد به الغزالي أن يكون مقدمة لكتاب "تهافت الفلاسفة" ليسهل على القارئ استعماله، لما وضع فيه من اصطلاحات منطقية.[3]

أما في الفلسفة فنجد أول كتاب له هو نفسه معيار العلم الذي أطلق عليه اسم مقاصد الفلاسفة والذي وصفه أحد المستشرقين بأنه أفضل مدخل للفلسفة الإسلامية حيث بين الغزالي في هذا الكتاب اتجاه الفلاسفة المسلمين المتأثرين بالفلسفة الأرسطية أما الكتاب الثاني في الفلسفة فهو كتاب تهافت الفلاسفة حيث يوجه الغزالي فيه انتقادات لاذعة للاتجاهات الفلسفية الإسلامية، وخاصة الفارابي وابن سينا.[4] وفي هذا الكتاب نجد أن الغزالي يتصدى للفلسفة دارسا وناقدا وباحثا عن العقائد والآراء من أهل البدع والأهواء.

**4-في التربية:**

كتب الغزالي في التربية عدد من المؤلفات على أن أهمّ ما كتب في هذا المجال جاء في كتاب "فاتحة العلوم"، ورسالته "أيها الولد"، وكتاب" إحياء علوم الدين" حيث حدد الغزالي من خلال هذه الكتب هدفه التربوي وفقا لفلسفته ونظرته للحياة ثمّ وضع المنهج العلمي الذي رآه مناسبا لهدفه وغرضه من التربية.

**أ-كتاب فاتحة العلوم:** هو من أشهر كتبه التربوية، تناول فيه أهمية العلم والتعليم في حياة.[5]

---

[1] – الغزالي: ميزان العمل، مكتبة محمد عليّ وأولاده، (ب ط) 1963، ص 03.

[2] – الغزالي: الجواهر الغوالي، تحقيق محي الدين الكرديّ، المطبعة العربية، مصر، ط1، 1922، ص 03.

[3] – الغزالي: معيار العلم، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، (ب ط) 1963، ص 7-8.

[4] – محمود حمدي زقزوق: مقدمة في الفلسفة الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ( ب ط) 2009، ص 61.

[5] – محمود عبد الرزاق شفشق: الأصول الفلسفية للتربية، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت، ط4، 1982، ص 131.

**ب–رسالة أيها الولد:** يحثّ فيها الغزالي تلميذا أنهى علومه على أن يقرن العلم بالعمل.[1]

**ج–كتاب إحياء علوم الدين:** الذي يعد من أهمّ كتب الفكر الإسلامي بما يتضمنه من أفكار تربوية شملت العبادات والمعاملات والأخلاق والتربية، وهو كتاب يدعو إلى الأخلاق الفاضلة والآداب الحميدة ، كما يدعو إلى تزكية النفس حتى تصل إلى المقام الحسن.[2]

يظهر لنا بوضوح أن الغزالي من خلال إنتاجه الفكري كان باحثا كبيرا، ملما بجميع المواضيع من فلسفة ودين وتربية.

ولعلّ ما ننتهي إليه في نهاية هذا الفصل من خلال تطرقنا لحياة الغزالي والأوضاع التي عايشها والمنابع التي استلهم منها فكره، وبعض من انتاجه الفكريّ والاطلاع الواسع الذي حصل عليه من الصراعات الفكرية في الآراء والمقابلات بين مختلف الاتجاهات والفرق بالإضافة إلى تبحره في فقه المذاهب وغيرها من العلوم الشرعية، وكذلك الفلسفية وعلم الكلام، أنه كان لكل هذا دور كبير في تكوين شخصية الغزالي المتميزة، هذا بالإضافة إلى أنّ فلسفة التربية عند الغزالي تعتبر في نظر بعض الباحثين، أكمل بناء في التربية الإسلامية وهي في الواقع تعبير عما ساد عصره، وعما أثر فيه من مؤثرات أكثر من أن تكون تعبيرا عن الحاجات الحقيقة التي يحتاج إليها الناس في هذا العصر، والجدير بالذكر أن آراء الغزالي مستمدة من صميم الحياة التي عايشها، ومن التجارب التي مرّ بها، ومن المشكلات التي صادفته في حياته المتعددة الأطوار.

ومن خال هذه اللمحة السريعة عن حياة الغزالي والأوضاع التي عاش فيها، نستطيع أن نعرف شيء، عن سبب عنايته بموضوع التربية، فقد فاق اهتمامه بها ما عهد عند المتقدمين عليه وخاصة أن التربية عنده لم تكن مجرد معرفة نظرية بل وسيلة لتعديل السلوك والرقي بالأخلاق والوصول إلى تكامل في الشخصية، وهذا ما سنأتي للتفصيل فيه بعد أن نفهم طبيعة الفكر التربوي عند الغزالي الذي سيكون موضوع دراستنا في الفصل الثاني.

[1] – أنظر الغزالي: أيها الولد، تحقيق جميل إبراهيم حبيب.

[2] – عامر النجار: نظرات في فكر الغزالي، شركة صفا للطباعة والنشر، (ب ط) 1989، ص 19.

# الفصل الثاني:

# طبيعة الفكر التربوي عند الغزالي

**الفصل الثاني: طبيعة الفكر التّربوي عند الغزاليّ**

لقد تبين للغزالي بعد طول طواف في مختلف العلوم والأفكار، أنه هذه الأمة تحتاج إلى إصلاح جذري يعتمد على منهج قويم يركز على الأهداف التي تؤدي إلى رفع المستوى الروحي والأخلاقي والفكري والاجتماعي والسياسي للفرد خاصة، وللمجتمع عامة أي أنه أراد صياغة منظومة القيم التربوية كاملة لتتوافق وتنسجم مع الغايات الكبرى التي حرص الإسلام كل الحرص على غرسها في قلوب معتنقيه، لذلك كان الفكر التربوي عند الغزالي حصيلة تصور شامل متكامل للإنسان والعلم والمعرفة، ولأن عملية التربية وأنشطتها المختلفة لا يمكن أن تتم بمعزل عن هذه النواحي، فكان من الضروري تحديد المبادئ والمسلمات الأولية التي تشكل الأساس الذي تقوم عليه التربية عند الغزالي.

**المبحث الأول: الإنسان**

يعتبر الإنسان من أهمّ الموضوعات الهامة التي لا يستغني عنها أيّ دارس للتربية، لأن الإنسان هو في حدّ ذاته موضوع للتربية ومعرفة طبيعته تمكن من توجيه هذه الطبيعة وتنشئتها على أساس سليم، يقول روني أوبير في كتابه التربية العامة: "**إن فلسفة التربية، هي فلسفة الإنسان قبل كل شيء، وبهذا الشرط وحده تستطيع أن تؤدي رسالتها وهي العمل على تنظيم الكائن الإنساني ووحدته وتأليفه تأليفا جديدا ومستمرا**".[1] فمعرفة طبيعة الفرد هنا تصبح مسألة على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لفلسفة التربية، وهذا ما تفطن إليه الغزالي.

ففي الوقت الذي ظهر فيه الغزالي، كان الانحلال أخذ يظهر في المجتمع الإسلاميّ فما علة فساد الناس؟. وما هو طريق صلاحها؟.

يرى الغزالي أن فساد الناس وصلاحهم بأيديهم، إنه قائم إذا شئنا أن يكون على النظر في النفس الإنسانية وتحليلها ومعرفة دوافعها وغرائزها وكيفية السموّ بها وتعديلها والسير بها في طريق الصواب وهذا ما فعله الغزالي في الإحياء، حيث أنه تكلم على كلّ ضرب من ضروب السلوك وبحث في دوافعه المعدلة للسلوك، ثمّ بين كيفية السموّ بهذا السلوك في ضوء

[1] – نقلا عن محمد منير مرسي: التربية الإسلامية، أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، القاهرة، (ب ط)، 1983، ص 111.

نور اليقين ومعرفة من الله.[1] هذه المراحل التي تكلم عنها الغزالي المتمثلة في الدوافع والظواهر ثمّ التسامي، يرى فيها عبد الكريم عثمان أنها لا تخرج عن أيّ عامل نفسانيّ حتى علماء القرن 19م ، حيث كان هذا العلم لا يزال في بدايته وكل ما ينقصه أنه لم يتتبع المنهج الإحصائي ومنهج القياس النفسي والتجارب العلمية أما الطريقة في أساسها فإنها صحيحة وسليمة، ولو أن علماء المسلمين بعد القرن 5 هـ، استمروا على منهج الغزالي لبلغوا دون ريب، ما بلغه علماء الغرب في الوقت الحاضر.[2] ومن خلال هذا يتضح ضرورة دراسة النفس الإنسانية لتكون أساسا فلسفيا للتربية، يقول فينيكس: "**وحيث أن التربية عملية توجيه ونمو الأفراد، فإن طبيعة الفرد تصبح مسألة على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لفلسفة التربية**".[3] فمفهوم التربية متوقف على معنى الطبيعة الخاصة بالفرد الإنسانيّ.

وبفهم هذه الطبيعة وتوضيح مفهومها عند للغزالي، كان لا بد من تناول ثلاثة أمور رئيسية، أول هذه الأمور يتعلق بماهية الإنسان، هل هو مادة أم روح أم كلاهما؟. وثاني هذه الأمور يتعلق بالإنسان هل هو خيّر أم شرير أم كليهما معا؟. وثالث الأمور يتعلق بالحرية الإنسانية، هل الإنسان حرّ أم مقيّد أم كلاهما معا؟.

**1-ماهية الإنسان:**

قبل التطرّق إلى معرفة ماهية الإنسان عند الغزالي كان لا بدّ من التعرّف على ماهية الإنسان من وجهة نظر الإسلام الذي لا يتفق مع عمومه على التفسير القائل بالبعد الواحد للماهية الإنسانية، سواء كان هذا البعد الجسم، كما يقول "الماديون"، أما كان هذا البعد هوى العقل كما يقولون "العقلين"، أو كان هذا البعد هو الروح كما يقول "الروحيون".

إنّ الإنسان في نظر الإسلام مركب من جانبين مادي هو البدن، وروحيّ وهو النفس، قال تعالى:﴿ **الَّذِيْ أَحْسَنَ كُلّ شَيءٍ خَلقَهُ، وَبدأَ خَلق الإنسَانِ مِن طين، ثُمّ**

[1] – أنظر عبد الكريم عثمان: الدراسات النفسية عند المسلمين، والغزالي بوجه خاص، ص 10.

[2] – نفسه: ص 09.

[3] – فليب فينيكس: فلسفة التربية، ترجمة محمد لبيب النجيحي، دار النهضة العربية، القاهرة، (ب ط)، 1965، ص 697.

**جَعلَ نَسلهُ مِن سُلالة مِن مَاء مَهين، ثمّ سَواهُ وَنفخَ فيه مِن رُوحه، وَجعلَ لَكم السَّمعَ وَالأبصَار وَالأفئدَة قَليلاً مَا تَشْكُرون** ﴾[1] ويعني أن الإنسان يتكوّن من طبيعة مزدوجة جسد وروح، وبامتزاج هذين العنصرين تتحقق الحياة، ولكن الروح هنا بمعنى النفس، لأنّ روح الإنسان ليس كروح الحيوان، يقول الغزالي: "**والفصل بين الآدميّ والبهيمة، هي النفس التي أضافها الله تعالى إليه**".[2] فلو أنّ البهيمة أعطيت النفس التي أعطيها الإنسان لكانت عاقلة مكلفة، فالإنسان يملك جسما وروحا التي هي النفس، والبهيمة تملك روحا وجسما فقط. وسنأتي للتفصيل في هذا من خلال تحديد الجوانب المشكلة لشخصية الإنسان.

**أ–الجانب الجسميّ والروحيّ**: إنّ الغزالي في معرض حديثه عن الإنسان يفسّر الآية الكريمة التي قال فيها تعالى: ﴿**فَإذَا سَوَّيتُهُ وَنَفَختُ فِيه مِن رُوحي**﴾[3] فالتسوية هي التي تقع في المادة التي تجعلها صالحة لتقبل الروح، إذ يقول الغزالي:" **التسوية جعلت في المحلّ القابل للروح وهو الطين في حقّ آدم، ونطفة في حقّ أولاده**".[4] ثمّ يتحدث الغزالي عن الروح فيقول: " **أما الروح فيستقيها الله من الإنسان عن طريق فيض إلاهيّ، وهي المرحلة الثانية التي تسمى النفخ**".[5]

إنّ هذان الشرطان أساسيان يؤيدان إلى وجود الإنسان، والفيض الإلهي أولا وهو الروح والنطفة التي تكون تركيب معين يقبل الروح، ولكن وجود الإنسان عند الغزالي لا يتوقف عند جسد وروح، بل يضيف الغزالي النفس، فما حقيقة النفس عند الغزالي؟.

**ب–الجانب النفسيّ**: إنّ الغزالي في دراسته للنفس سلك طريق الفلاسفة، ولكنه أضاف ضرورة الاعتماد على الكشف والتجربة الذوقية التي لا بد منها للتعرف على وجود النفس وحقيقتها وما يتعلق بماهيتها عموما، يقول عبد الكريم عثمان:" **وقد أخذ أبو حامد في**

---

[1] – سورة السجدة، الآية: 5–9.

[2] – نقلا عن أيوب دخل الله: التربية الإسلامية عند الغزالي، ص 105.

[3] – سورة الحجر، الآية 29.

[4] – الغزالي: الأجوبة الغزلية في المسائل الأخروية ضمن كتاب القصور الغوالي من رسائل الإمام الغزالي، تحقيق محمد مصطفى أبو العلاء، مكتبة الجيهي، مصر، (ب ط) (ب ت)، ص 348.

[5] – نفسه، ص 348.

**ابتداء أمره حذو المتفلسفة، فأخذ عنهم ما نقلوه عن مفكري اليونان وتكلم عن النفس وأنها كمال أول لجسم طبيعيّ آلي ذي حياة بقوة، كما جاء في تعريف أرسطو، وتابعهم في القول بالنفوس الثلاثة الغازية والحيوانية والناطقة وعلى الجملة فإنه اتبع منوالهم وبخاصة في إثبات وجود النفس جوهرا مستقلا عن البدن".**[1]

وتعريف الغزالي للنفس نجده لا يختلف عن ابن سينا فهو يحذو حذو ابن سينا حتى في ألفاظه التي استعملها مع شيء من التوضيح والتفصيل، فجاء في تعريفه للنفس الإنسانية: "**أنها الكمال الأول لجسم طبيعيّ آلي من جهة، ما يفعله للأفاعيل بالاختيار العقليّ والاستنباط بالرأيّ، ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية**".[2] وهذا أيضا تعريف ابن سينا.[3] فالكمال بالنسبة للإنسان لا يعني انطباع النفس بالجسم فقط، ولكن كمال الجسم على معنى أن الجسم يتحرك عن اختيار عقليّ، وتعريف الغزالي للنفس على هذه الصورة يعتمد على أساس النظر إلى وظيفتها وهي الخروج بالنوع من القوة إلى الفعل، أما في الكتب التي يتأثر بها بالأفلاطونية المحدثة والصوفية فإنه يميل إلى تعريف النفس على أساس النظر لطبيعتها فيقول:" **إنها الجوهر القائم بنفسه، الذي ليس هو في موضوع، ولا يحلّ شيء**".[4]

ويبدو لنا أن الغزالي يقول بشيء من التطابق بين التصنيف الأرسطي للنفس والتصنيف الأفلاطونيّ ويتضح ذلك من خلال إشارته في الإحياء إلى أنّ أول ما يخلق عند الطفل هو الشهوة التي يشارك فيها الحيوان والنبات، ثمّ تخلق له القوة الغضبية التي يشارك فيها الحيوان فقط، وأخيرا تخلق له النفس العاقلة، يقول الغزالي: "**فالإرادة لا تكون عند الصبيّ في أول فطرة وإنما يحدث ذلك فيه، بعد البلوغ وكذلك الأمر بالنسبة**

[1] – عبد الكريم عثمان: الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ص 07.

[2] – الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، تحقيق أحمد ابن شعبان ابن يحيا الأندلسيّ، شركة الشهاب، الجزائر، (ب ط) (ب ت)، ص 21.

[3] – أنظر ابن سينا: النجاة ، تحقيق محيّ الدين الكرديّ، (ب ط) 1910، ص 258.

[4] – الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص 27.

**للعقل**".[1] ويكون التطابق على أساس مقابلة الشهوانية مع النباتية والغضبية مع الحيوانية والعاقلة مع النفس الإنسانية.

وحين يتحدث الغزالي عند النفس الإنسانية فإنه يستعمل للدلالة عليها ألفاظ أربعة وهي: النفس، القلب، الروح، العقل، يقول الغزالي:" **اعلم أنّ هذه الأسامي الأربعة مشتركة بين مسميات مختلفة**".[2] وهذا ما يدعونا أن نعرض بشكل موجز لهذه الألفاظ وسنرى هل كان يستعملها بمعنى واحد أم بمعانٍ مختلفة كالآتي: قبل أن نتطرّق إلى معنى هذه الألفاظ بالنسبة للغزالي، سأتناول معناها بالنسبة لفلاسفة اليونان حيث استعملوا هذه الألفاظ بمعنى واحد، كما استعملوها بمعانٍ مختلفة، فقد ذكر أفلاطون على أنها معنى واحد في خلود النفس وميّز بينها على أساس مرتبة كلّ منها في نظرية "**صدور الموجودات عن العقل**" والعقل على ذلك أولها وأشرفها لأنه الجوهر المطلق هو الله، يليه الروح وهو أقرب إلى عنصر النور ثم النفس وهي أقرب إلى عنصر الهوى والتراب.[3]

وقد أشار الغزالي إلى اختلاف آراء الباحثين حول هذه الكلمات، ثمّ سلك مسلكا جديدا للتمييز بينها إذ لاحظ في كلّ منها معنيين، أحدهما مادي والآخر روحي، وسأعرض بإيجاز لكلّ لفظ من هذه الألفاظ وطريقة دراسته له.

**ب–1 النفس**: يطلق لفظ النفس للدلالة به على معنيين أحدهما يراد به المعنى الجامع، لقوتي الغضب والشهوة في الإنسان، وهذا الاستعمال هو الغالب في الصوفية، فهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان فيقولون لا بدّ من مجاهدة النفس وكسر شهوتها، أما المعنى الثاني يراد به حقيقة الإنسان وذاته ونفسه ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها، فإذا سكتت تحت الأمر وزال منها الاضطراب سميت بالنفس المطمئنة، وإذا لم يتمّ سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره، وإذا أطاعت الشهوات ودواعي الشيطان سميت الأمارة

[1] – نقلا عبد الكريم عثمان: الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ص 238.

[2] – الغزالي: روضة الطالبين وعمدة السالكين، دار النهضة الحديث، بيروت، لبنان، (ب ط) (ب ت)، ص 60.

[3] – عباس محمود العقاد: الإنسان في القرآن، دار الهلال، (ب ط)(ب ت)، ص 36.

بالسوء.[1] وهي أدنى مراتب النفس ولا شكّ أنه مما يذكر للغزالي هذا التمييز بين معنيي النفس لأنه يجمع فيها بين الصفات المعلومة في الإنسان وبين النفس كجوهر للمعقولات ومصدره عالم الملكوت.[2]

**ب–2 القلب:** يستعمل الغزالي لفظ القلب هو لآخر للدلالة على معنيين، الأول بالمعنى اللحم الصنبوريّ الشكل، المودع في جوف الإنسان، من الجانب اليسار من الصدر، وفي باطنه تجويف فيه دم الأسود وهو منبع الروح الحيوانيّ ومعدنه، وهذا القلب ليس خاص بالإنسان بل يشترك فيه مع الحيوان، وهذا الذي يفنى بالموت جميع الحواس بسببه.[3] يقول الغزالي:" **وهذا القلب موجود للبهائم...، ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فإنه قطعة لحم لا قدر له**".[4] والقلب بهذا المعنى ينبعث من الروح الحيوانيّ ويقول الغزالي للمعنى الثاني للقلب: "**هو لطيفة ربانية روحانية...،وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان**".[5] وهو بهذا المعنى الروح الإنساني المتحمل لأمانة الله المتجليّ بالمعرفة المركوز فيه العلم بالفطرة الناطق بالتوحيد، فهو أصل الآدميّ ونهاية الكائنات في عالم الميعاد، وهذا هو المعنى الجوهريّ بالنسبة للإنسان، فهو مناط تكليفه.

ونجد الغزالي يستعمل هذا اللفظ مرادفا للنفس في كتبه، لكن يميل في كتبه الأخيرة إلى استعمال كلمة قلب كما يستعملها الصوفيّة، وعند ذلك يكون القلب محلّ الحقائق الميتافيزيقية التي يصل إليها الإنسان من سلطان البدن والحواس.

**ب–3 الروح:** يطلقها الغزالي على القلب والنفس ولكنه يحاول توضيح الفكرة، فيطلق لفظ الروح على معنيين كذلك، المعنى الأول الروح بمعنى البخار اللطيف الذي يصعد من منبع القلب ويتصاعد إلى الدماغ بواسطة العروق، إلى سائر أجزاء البدن، فيعمل في كل موضع بحسب مزاجه واستعداده وهو الذي يضفي الحياة على الحواس، كما يضفي النور من السراج

[1] – أنظر الغزالي: روضة الطالبين وعمدة السالكين، ص 60–61.

[2] – محمود قاسم: في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام، القاهرة، (ب ط) 1954، ص 97.

[3] – الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص 16–17.

[4] – الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق بدوي طبانة، ج3، ص 03.

[5] – نفسه، ص 03.

على البيت، وماهيته بخار لطيف أنضجته حرارة القلب.[1] أما المعنى الثاني للروح يقصد بها تلك اللطيفة العالمة المدركة لدى الإنسان وهو الذي أرادها الله تعالى لقوله: ﴿**قُل الرُّوحُ مِنْ أَمر ربّي**﴾.[2] والإنسان أنما يكلف ويخاطب لأجل هذا المعنى لأن الروح بهذا المعنى تكون جوهرية في الإنسان، وليست عارضة كما في المعنى الأوّل.

فالجانب الروحيّ الذي يميز الإنسان عن الحيوان، يتمثل في معرفة الله ومعرفة رسالته والقدرة بالتبصر بالعواقب ويعطي الغزالي الروح لهذا المعنى كلّ صفات النفس الناطقة لذلك يعتبرها جوهر دائم، ثابت لا يقبل الفساد يقول:" **وهذه الروح لا تموت ولا تفنى بل تبقى بعد الموت، إما في نعيم وسعادة أو جحيم وشقاوة**".[3]

**ب–4 العقل:** يشير الغزالي إلى معنيين له في الإحياء أحدهما يراد به العلم بحقائق الأمور فهو بهذا المعنى عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب، ويقصد به عادة العقل، وقد يطلق هذا المعنى ويراد به العقل على اعتبار أن العلم هو ثمرة العقل، والآخر يراد به المدرك للعلوم فيكون العقل بهذا المعنى هو القلب، أعني تلك اللطيفة والعقل على هذا يوازي مفهوم النفس الناطقة أو القوة النظرية من النفس الإنسانية وغالبا ما يستعمل لفظ العقل والنفس الناطقة كمترادفين إلا عندما يتكلم عن ترتيب العقل في نظرية الصدور فإنه يستعمل اصطلاحات الأفلاطونية المحدثة أو حين يريد التخصيص على وظيفة العقل والإدراك في النفس، فإنه يأخذ معنى أكثر تمييزا من المعنى الأوّل.[4]

إنّ هذه الألفاظ الأربعة المتمثلة في النفس والقلب والروح والعقل تمثّل عند الغزالي النفس الإنسانية التي هي محلّ المعقولات، فالغزالي إذ ميّز بين هذه الألفاظ إنما يميّز بينها في المرتبة والوظيفة وليست في الطبيعة لأنها كلها لطيفة أمرية.

---

[1] – دحفاد يحي صالح العسكري: الغزالي وجون ديوي نظرتهما للطبيعة الإنسانية، شبكة العلوم النقلية العربية، (ب ط) 2013، ص 67.

[2] – سورة الإسراء، الآية 85.

[3] – الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق بدوي طبانة، ج3، ص 3–4.

[4] – أنظر عبد الكريم عثمان: الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ص 65.

وقد أشار إلى هذا المعنى حين ردّ على من يتسأل في هذا الموضوع فقال:" **وقدر على من قال إنك وحدت بينها في الإحياء وأنت تفرق بينها هنا، فقلت في هذه الإجابة: وهو شيء واحد لا يتناقض مع ما قلناه الآن ومعنى ذلك أن لها معنى يسمّى بالروح تارة، وبالنفس تارة أخرى...ثم لا يبعد أن يكون لها معنى آخر ينفرد باسم النفس ولا يسمى روحا ولا غير ذلك** ".[1]

فالنفس في النهاية عند الغزالي هي ذلك الجوهر الذي يجمع بين عالم العقل وعالم الحسّ، فالنفس إذن همزة وصل بين عالمين، ويدل ذلك على أنها تحتوي على قوانين، تدلّ على عالم الحقّ والقوة الثابتة توجه نحو البدن فتخضعه لأمرها وترعى مصالحه، ولذلك سعى الغزالي من خلال تحديده الجوانب المشكلة للطبيعة الإنسانية(الجسم، الروح، النفس) إلى تحقيق التكامل بين جميع أجزائها بهدف الوصول إلى تكوين المثل الأعلى للإنسان.

فالغزالي يرى أنه ليس هناك تصادم وتعارض بين مصالح وحاجات الانسان المادية وبين مصالحه وحاجته الروحية النفسية، بل التوافق بين هذه العناصر والانسجام بينها هو الأصل، فهو لا يفصل بين الجسم والنفس والعقل والروح، بل تمثّل هذه العناصر نظام شامل متكامل والذي يتماشى مع الفطرة السليمة للإنسان.

فنقول أنّ الغزالي لا يفصل في داخل الإنسان بين هذه المعاني بل يأخذها بفطرتها السوّية ممتزجة مترابطة ويرسم لها دستور تربويّ على هذا الأساس، فالروح والعقل والقلب والنفس كلها كيان واحد ممتزج بالبدن مترابط تشكل الإنسان وكلها تعمل ممتزجة مترابطة في واقع الحياة، وهذا يحيلنا إلى أنّ الإنسان كلّ متكوّن من جانب ماديّ وآخر نفسيّ وهذا يفيدنا في ميدان دراسة الإنسان وتصوّره بصورة متكاملة تمّ في تربيته وفقاً لتلك الدراسة والتصور المتكامل لجميع جوانبه المكوّنة لشخصيته وهي في الواقع فكرة انتهت إليها الدراسات الحديثة، يقول ألكسيس كارل :"**إنّ الإنسان كلّ لا يتجزأ شديد التعقيد، ومن**

[1] – الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق بدوي طبانة، ج3، ص 3-4.

**المستحيل إيجاد فكرة مبسطة عليه**".[1] فإذا كان الإنسان مكوّن من عنصرين مختلفين في الطبيعة، عنصر ترابيّ معروف التركيب، وعنصر روحيّ لا يعرف كنهه فإنّ اختلافهما لا يترتب عليه تناقضهما، بل هو اختلاف يقضي إلى وحدة في هذه الكينونة يتحقق بها الانسجام والتوازن في النهوض بالدور الخلافيّ الذيّ عهد للإنسان.

**2-جانب الخير والشرّ في الإنسان:**

لقد اختلفت وجهات النظر حول حقيقة الطبيعة الإنسانية من حيث الخير والشر ودور التربية في تغييرها.

فهناك من يقول أنّ الإنسان شرير بطبعه، وأن جذور الشرّ متأصله فيه، ويرجعون في ذلك إلى خطيئة آدم، فلو تأصل الشر في طبيعته ما عصى ربه وخالقه، وقال بذلك الفيلسوفين هوبز وسبنسر الذين يرون أنّ الإنسان متوحش مطبوع على الشرّ وسوء الخلق.[2]

وهناك رأيّ آخر يقول بأنّ الإنسان خيّر بطبعه وهذا الاتجاه يمثله سقراط إذ يرى أن في كلّ إنسان رغبة في الخير، وأنّ الشرّ ناتج عن الجهل وسوء التقدير، وعلى هذا فالإنسان متأصل فيه الخير وعارض فيه الشرّ

وهذا ما جاء به الرواقيون حيث يرون أن الناس يخلقون خيرين ثمّ يتحولون أشرار بمخالطة الأشرار والانغماس فيهم.[3]

ولكن أن نقول أن طبيعة الإنسان شريرة أو خيرة بمعنى هذا أن الطبيعة التي خلق بها الإنسان ثابتة ولا يمكن تغييرها أو تعديلها وأنّ لا قيمة للتربية والتعليم لتعديل سلوك الإنسان والارتقاء به وهذا ما يرفضه الاتجاه الثالث الذي يقول بأنّ طبيعة الإنسان محايدة وقد تبنى هذا الاتجاه الكثير من الفلاسفة ورجال التربية المحدثين أمثال كانط وراسل ودور كايم

[1] – ألكسيس كارل: الإنسان هذا المجهول، ترجمة شفيق أسعد فريد، مكتبة المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1980، ص 21.

[2] – أنظر محمد منير مرسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص 114-115.

[3] – محمد منير مرسي: أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص 115.

وغيرهم...، وقد سبقهم في ذلك ابن سينا والغزالي، هذا الأخير الذي يرى أنه لا وجود لشيء في الإنسان خير بالفطرة، أو شرير بالفطرة على الإطلاق.

فيرى الغزالي أنّ الطبيعة الإنسانية محايدة فهي ليست خيرة مطلقا ولا شريرة في ذاتها فهي لها استعداد أن تكون خيرة أو شريرة على حسب الظروف المحيطة بالإنسان، يقول الغزالي:"... **والصبيّ أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نقية ساذجة، خالية عن كلّ نقش وصورة وهو قابل لكلّ نقش، ومائل إلى كل ما يمال به، فإن عوّد على الخير وعلمّه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة...، وإن عوّد على الشرّ وأهمل إهمال البهائم شقيّ وهلك**".[1] ومن هنا يظهر لنا أنّ الغزالي في فهمه للتربية يأخذ بعين الاعتبار فطرة الإنسان والطبيعة التي يولد عليها الطفل، فهي طبيعة تقبل الخير وتقبل الشرّ وذلك حسب نمط التربية التي يتلقاها الطّفل، فإذا تلقى التربية الصحيحة كان نشوؤه صالحا ومستقيما، وإن وقع النشوء بخلاف ذلك ينحرف الطفل لأنه ولد قابلا للخير والشر معا فالمسؤولية هنا مسؤولية المربين.

ومن خلال تحديدنا للطبيعة الإنسانية ، يظهر لنا كيف اهتمّ الغزالي بالتربية وأشار إلى ضرورتها ودورها في تغيير هذه الطبيعة ، فمهمة التربية هنا هي توجيه الإنسان نحو الخير وإبعاده عن الشرّ وذلك بزرع بذرة الخير في الطفل منذ نشأته الأولى التي يكون فيها مستعدا لقبول المعارف والأخلاق، لكي ينشأ في موقع صحيح بعيد عن الزّلل.

**3-الحريّة الإنسانيّة:**

لقد كانت فكرة الحرية الإنسانية من أهمّ المشكلات التي واجهت الغزالي وغيره من علماء المسلمين وكانت موضوعا اشتدّ فيه الخلاف وكثرت حوله الآراء، حيث يستعرض لنا الغزالي فريقين إسلاميين متناقضين في آرائهما حول الحريّة.

[1] – الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق بدوي بطانة، ج3، ص 69-70.

أولهما: الجبريّة التي أنكرت حرية الإنسان وأنّ الإنسان مجبر وإرادته مقيدة بإرادة الخالق، يقول الغزالي:" **فذهبت المجبرة إلى إنكار قدرة العبد** ".[1]

ثانيهما: المعتزلة التي نادت بحرية الإنسان وأنه مسؤول عن أعماله خيرها وشرها وأنه ليس مجبرا على شيء، يقول الغزالي:" **وذهبت المعتزلة إلى إنكار تعلق قدرة الله بأفعال العباد... وزعمت أن جميع ما يصدر منها من خلق العباد**".[2]

وقد أخذ الغزالي بالمزج بين هذه الآراء واتبع المذهب القائل بالكسب كمرحلة وسط بين الجبر والاختيار، فالغزالي تابع رأيّ الأشاعرة القائل بالكسب، وهو رأيّ لا ينفي حرية الإنسان ومسؤوليته فهو ليس خالقا لأفعاله، ولكنه مريد لها فترتب عن ذلك مسؤولية عليه، فعلى سبيل المثال حركة المشيّ هو فعل يخلقه الله سبحانه وتعالى لكن الإنسان يكتسبه أيّ يجريه الله على جوارحه عندما يريد الإنسان القيام بهذا الفعل.[3]

فالغزالي هنا لا ينفي حرية الإنسان، بل يؤكد عليها، كما لا ينفي قدرة الخالق في خلق أفعال الإنسان، لكن الله يخلق أفعال الإنسان والإنسان في هذا مخيّر وليس مسيّر في التحكم في أفعاله، لأن الله أودع في الإنسان العقل، الذي من خلاله يتحكم في أفعاله فالإنسان مخيّر ومجبر في آن واحد، يقول الغزالي:" **القول بالجبر محال باطل، والقول بالاختراع اقتحام هائل ، وإنما الحقّ إثبات القدرتين على فعل واحد**".[4] ويقصد هنا إثبات قدرة الله على خلق أفعال الإنسان، وقدرة الإنسان في التحكم في أفعاله فهي اتحاد قدرة الله مع قدرة الإنسان على فعل واحد.

والغزالي بهذا لم يجعل إرادة الإنسان حرّة في اختيار الفعل الموافق، بل يجعلها مقيدة بالعلم الإلاهيّ لأنّ العلم نور يقذفه الله في القلب، فتنضجّ أفعاله وأقواله حتى وإن كانت من

[1] – الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص 57.

[2] – نفسه، ص 57.

[3] – أنظر عزمي طه السيد أحمد: الوجه الآخر للفلسفة مدخل معاصر، عالم الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015، ص 309.

[4] – الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، ص 58.

اختياره، تقوم على الإرادة الإلاهية وهذا لا يعني تخلينا عن الإرادة الإنسانية، بل إقرارا لها ولكن بعد تصحيح اتجاهها واستقامة سبيلها وفقا لمقتضيات وآداب الإرادة الإلاهية.

فالحرية في النهاية يقصد بها الغزالي التخلّص من عبودية الرغبات والشهوات النفسيّة التي تكون في غير مواضع يرضاها الله لعبده، ولهذا يصبح الإنسان حرّا ويحقق مبتغاه وفقا لإرادة الله، فالغزالي يريد من الإنسان أن يخلصّ نفسه من الشهوات لإخضاعها للإرادة التي تنمى عن طريق التربية في الإنسان حتى تستقيم على المنهج الإلاهيّ ليرقى الإنسان بواسطة هذه الإرادة إلى السّعادة.

وهذا يعني بالنسبة للعملية التربوية أن نعنى بتزويد التلميذ بما يمكنه من معرفة المنهج الإلاهيّ ومعرفة الكون والقوانين التي تحكمه، ونعلمه كيف يحترم هذه القوانين وهذا النظام فالله سبحانه وتعالى خلقنا وأعطانا عقولا يمكن من خلالها أن نميّز بين الحقّ والباطل، فإن كنّ عقلاء حسب الغزاليّ فلا بدّ أن نقبل هذه التعاليم، ونسير على هديها لأن الله هو الذي رسمها للإنسان.

فإن كان من الضروري بإمكان العمل على تكوين عادات صحيحة في الطفل، كان من الواجب ترقية إرادته وتعوديه على الردود الإرادية الصحيحة فالغزالي يشير بأننا كلما أمعنا اصطناع تلك الإرادة تزايدت قوّتها ولذلك فإنه يستفيد من موضوع مجاهدة النفس من خلال تربية الإرادة لدى المتعلم، وتتمّ هذه التربية عن طريق تكرار مجاهد النّفس، ولذلك يرى الغزاليّ انه يجب ربط الإرادة دائما بمثل أعلى يتمثّل في التوجه إلى الله والإخلاص له، ليكون هذا المثل دافعا يشحذ الإرادة الإنسانية ويوجهها نحو تحقيق الكمال لذاتية الفرد.

وما يمكن استنتاجه من خلال هذا المبحث أنّ الغزاليّ على وفق رؤياه للطبيعة الإنسانية، يرى أنّ التعرّف على هذه الطبيعة تكمن المربيّ من معرفتها فتساعده على إصلاحها لأنّ الجهل بها قد يؤدّي إلى إفسادها، كما أنّ هذه المعرفة تخلّص النفس من الشهوات وتخضعها لإرادة الإنسان ليرقى بها إلى السعادة، بالإضافة إلى تأكيده على مبدأ لا

إفراط ولا تفريط أيّ ضبط مكونات النفس باعتدال عن طريق التّربية، فيظهر دور التربيّة في ردّ القوة الإنساني إلى حدّ الاعتدال.

**المبحث الثاني: العلم**

بعد أن تعرّفنا على الطبيعة الإنسانية وإمكانية تغيير هذه الطبيعة عن طريق التربية أصبح من الضروري تحديد الأساس الأول الذي يمكن من خلاله تغيير الإنسان وتغيير سلوكه إلى أفضل ما هو عليه وهذا التغيير يقوم بالدرجة الأولى على تزويد المتعلم بالعلم، لذلك نجد الغزاليّ يشيد بالعلم والتعليم في مجال التربية أكثر من إشادته بشيء آخر، لأنّ إشادته بالعلم هي إشادة بالتربية التي يعتبر العلم من أبرز دعائمها، ومن ثمّ كان العلم والتعليم أمراً لازما لتحقيق التربية الصحيحة بالنسبة للغزالي، يقول الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين:" **أحد لم يولد عالما، إنما العلم بالتعلّم**".[1]

وسأحاول أن أفصّل في موضوع العلم انطلاقا في تحديد مفهومه وأهميته وأقسامه بالإضافة إلى تحديد موقف الغزالي من العلم والمعلّم والمتعلّم.

**1-مفهوم العلم:**

بما أنّ الغزاليّ يبحث عن العلم بحقائق الأمور، تناول موضوع العلم بالتفصيل، فعرّفه يقول:" **فالعلم اليقينيّ هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب**".[2] هكذا عرّف أبو حامد الغزالي العلم، فهو يعني الاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه ريب، ويكون مطابقا للمعلوم، وعلى بصيرة ويتّصف بالثبات، ولكن هناك من اعترض على التعميم في تعريف الغزالي للعلم وقال:" **إنّ علم الله ليس على بصيرة وكشف، وانشراح كعلم بالإنسان**".[3] ولكن يمكن القول هنا أنّ الغزالي يقصد علم الإنسان وليس علم الله لأنّ في تناوله للعلم تحدث عن حاكم الحسّ والعقل، وإمكانية الثقة بهما وهذا ما يشير بوضوح إلى أنه يتحدث عن علم البشر، وما يزيد ذلك قوله:" **اعلم أنّ العلم تصوّر النفس الناطقة**

[1] – الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق بدوي طبانة، ج1، ص 09.

[2] – الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق محمد مصطفى أبو العلاء، محمد صابر، ص 14-15.

[3] – زروق عبد الله حسن: نظرية المعرفة عند الغزالي، بيروت، لبنان، (ب ط) 1987، ص 29.

**المطمئنة حقائق الأشياء وصورها المجردة في المواد بأعيانها وكيفياتها وكمياتها وجواهرها وذواتها إن كانت مفردة والعلم هو المحيط المدرك المتصوّر والمعلوم ذات الشيء الذي ينقش علمه في النفس**".[1] فقوله "تصوّر النفس الناطقة" يدلّ على أنه يقصد النفس الإنسانية فإذا ما قارنا بين هذا التعريف والتعريف الأول لا نجد أيّ اختلاف بينهما إنما يعدّ الثاني رسما لهيئة التعريف الأول، فالأول يتحدث عن حقيقة العلم، والثاني عن كيفية العلم.

**2-أهميّة العلم والتعليم:**

لقد ضرب الإسلام مثلا فريدا يستحقّ الإعجاب على اهتمامه بقيمة العلم والعلماء، فقد كانت أوّل آية نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم، هو قوله تعالى في سورة العلق:﴿ **اقرَأ بِاسْمِ رَبِّكَ الذَّيْ خَلق**﴾.[2] والإسلام لا يساوي بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وفضّل الله الذين أتوا العلم درجات، وجعل العلماء ورثة الأنبياء، وقد فضّل رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس العلم على مجلس الذكر، وساوى دماء العلماء بدماء الشهداء.

وقد بيّن الغزالي فضل العلم بقوله:" **إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة إلى الدار الآخرة، وذريعة إلى القرب من الله تعالى ...، فأفضل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم، فهو إذن أفضل الأعمال**".[3] هذا يعني أنه من أراد السعادة في الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد السعادة في الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معا فعليه بالعلم، يقول الغزالي مؤكدا على هذا:" **وقد عرفت أنّ ثمرة العلم القرب من ربّ العالمين، والالتحاق بأفق الملائكة، ومقارنة الملأ الأعلى هذا في الآخرة، وأما في الدنيا فالعزّ والوقار ونفوذ الحكم على الملوك، ولزوم الاحترام في**

[1] – الغزالي: الرّسالة اللّدونية، شركة الطباعة الفنية، القاهرة، (ب ط ) (ب ت)، ص 98.

[2] – سورة العلق، الآية 01.

[3] – نقلا عن محمد عطية الإبراشي: التربية الإسلامية وفلسفتها، دار الفكر العربي، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط2، (ب ت)، ص 239.

**الطبائع**".[1] لذلك اهتمّ الغزاليّ اهتماما بالغا بالعلم والتعليم، فقضى حياته بين الإثنين وبهذا رفع الغزالي من مكانة المعلّم ووضع ثقته في المعلّم الصالح الذي اعتبره خير مرشد ومربّي وهذا يوجب على أهل العلم تعليم الناس وإفادتهم بعلمهم فمن كان عالما حسب الغزاليّ ولم ينفع الناس بعلمه فإنه كجامع المال يكنزه، فلا يفيد أحداً، يقول في كتابه فاتحة العلوم:" **الناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون**".[2] ولهذا أوجب الغزالي على العالم التعليم، وإفادة الناس ولكن بإخلاص وتفانٍ في العمل، لهذا ربط الغزالي العلم بالعمل، فلا يمكن تصور علم بدون عمل، كما لا يمكن قيام عمل بدون أسس ومعايير علمية، لذلك جاءت وصاياه لطالب العلم بقوله: " **العلم بلا عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون**".[3] فالعلم هو الحياة لأن به قوام الوجود وديمومة الحياة التي تتصل بخيوطها مع الآخرة، وهنا تكمن أهمية العلم وضرورته.

**3-أصناف العلم وأقسامه:**

نظرا لأهمية العلم في حياة الفرد والمجتمع نجد أن الغزالي، قد أعطى للعلم أهمية بالغة بحيث أنه قد قام بتقسيم العلوم وتصنيفها، وبيّن فوائدها للمتعلم ثمّ رتبها ونظمها في مجموعات، يقول حسن عبد الحميد أحمد رشوان في كتابه التربية والمجتمع:" **ويرتب الغزاليّ العلوم بحسب أهميتها، وقسّمها إلى علوم شرعية وغير شرعية ...، فبعضها تعلمه محمود، وبعضها مذموم...، وبعضها مباح**".[4] نفهم من هذا أنّ الغزاليّ دعا إلى العلم والتعليم وذلك لضرورته وأهميته في الحياة وقد قام الغزاليّ بتقسيم العلوم وتصنيفها حسب موضوعها وأهميتها وضرورتها فجاءت منظمة ومرتبة على النحوّ التالي:

**أ-العلوم المحمودة و المذمومة:** يرى الغزاليّ في العلوم المحمودة أنها تلك العلوم التي تؤدي إلى تطهير النفس وترقيتها من شوائب الفساد وتساعد على معرفة الخير والعمل به، وتعلم

[1] - محمد عطية الإبراشي: التربية الإسلامية وفلسفتها ، ص 240.

[2] - محمود عبد الرزاق شفشق: الأصول الفلسفية للتربية، ص 136.

[3] - الغزالي: أيها الولد، تحقيق جميل ابراهيم حبيب، ص 25.

[4] - حسين عبد الحميد أحمد رشوان: التربية والمجتمع، دراسة في علم الاجتماع التربويّ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، (ب ط) 2010، ص 47.

الإنسان طرق السعيّ والتقرّب من الله عز وجلّ، وتتمثل هذه العلوم في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأصول العبادات.

أما بالنسبة للعلوم المذمومة، يحمد منها قدر معين ويذمّ التعمق فيها، لأنها علوم لو تعمق الناس في درستها قد تسبب لهم الارتباك وتشككهم في معتقدهم، وربما أدت بهم إلى الكفر والإلحاد مثل بعض فروع الفلسفة كالإلهيات وبعض مذاهب الطبيعة، بالإضافة إلى العلوم التي يرى فيها الغزالي أنها مضرّة غير نافعة إطلاقا فهي علوم مذمومة مثل السحر والتّنجيم والشّعوذة وهذه العلوم هي في الأصل أنها قد حرمها الشرع ذلك أنها تضرّ بصاحبها وتضرّ بالناس وتشككهم في الله، فيكفرون به.[1]

**ب–فروض العين وفروض الكفاية:** يرى الغزالي أنّ طلب العلم فريضة على كلّ مسلم لذلك فصّل في العلوم التي هي فرض عين وفرض كفاية، فالعلوم المفروضة ويجب تعلمها هي علوم الدين بأنواعها وتشمل القرآن وأصول العبادات، أما فروض الكفاية وهي التي يجب تعلمها من طرف فئة فقط من المجتمع، وبوجوبها تسقط على الباقي مثل الطبّ والحساب وبعض الصناعات.[2]

**ج– العلوم الشرعية والعلوم العقلية:** يقول الغزاليّ:" **اعلم أنّ العلم على قسمين أحدهما شرعيّ والآخر عقليّ، وأكثر العلوم الشرعية عقلية عند عالمها، وأكثر العلوم العقلية شرعية عند عارفها**".[3] وبهذا يشرح الغزالي أقسام العلم، حيث قسّمه إلى عقليّ وشرعيّ وكلاهما مرتبط بالآخر، فأكثر العلوم الشرعيّة عقلية، لأنها توافق صريح العقل وكذلك العلوم العقلية، فإنّ أكثرها شرعيّة لأنها توافق صحيح المنقول، فالعقل والوحيّ لا يوجب أن يتناقض أحدهما مع الآخر، وهذا الأمر واضح لأنهما يقودان إلى ذات الحقيقة، فالعقل في نظر الغزاليّ أنموذج من نور الله[4]، والوحيّ صادر من عند الله فمصدرهما واحد وبالتالي فلا يمكن

[1] – أنظر محمود عبد الرزاق شفشق: الأصول الفلسفية للتربية، ص 137–138.

[2] – نفسه، ص 139.

[3] – الغزالي: الرسالة اللدنية، ص 99.

[4] – أنظر الغزالي: مشكاة الأنوار، تحقيق أبو العلاء العفيفيّ، (ب ط) (ب ت)، ص 44.

أن يحدث بينهما تناقض فيما يوصلان إليه من معارف، يقول الغزاليّ:" **فالشرع عقل من الخارج والعقل شرع من الداخل وهما متعاضدان بل متحدان** ".[1] فالغزاليّ حاول أنّ يوفق بين العقل والنقل وأن يزيل التعارض بينهما، ففي نظره لا يمكن للمعقول الصريح أن يعارض المنقول الصحيح ولهذا فالقول المفصّل هو أنّ العقل بتبنيه للوحيّ يكون قد كشف أنّ ما قد جاء به الوحيّ هو عين العقل السليم لأنّ ما أدى إليه البرهان العقليّ لا يعارض الدين الصحيح، إذ الحقّ لا يضاد الحقّ.[2] هذا الذي ذكرناه يفيد أنّ الشرع لا يمكن أنّ يضاد ويخالف العقل الدال على صحته، بل هما متلازمان في الصحة.

فضلا عما اعترف به الغزاليّ للعقل من مهمة القيادة للدين فإنه قد اتضح أيضا مما سبق كيف يزن النصوص الدينية بميزان العقل، يقول :" **وظنّ من يظنّ أنّ العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية، وأنّ الجمع بينهما غير ممكن، ظنّ صادرا عن عمى في البصيرة**".[3] وهكذا نرى أنّ فكر الغزالي يمثل وحدة متماسكة ويسطّر في كلّ مؤلفاته موضوع واحد هو الإنسان وقد سخّر له كلّ من العقل والدين لإرشاده وإصلاحه، فوجب على الإنسان التمسك بهما وإلا كان جاهلا ومغرورا، كما يقول الغزالي:" **فالداعي إلى محض التقليد في الأمور الدينية مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور**".[4] تبين أنّ العقل وحده لا يمكن أن يستقيم إدراكه للوصول إلى حقائق الدين، بل لا بدّ من النقل فالغزاليّ لا يهمل العقل بل يطلبه ولكن يكون محكوما بالقرآن والسنة.

**د–تقسيم العلوم حسب ضرورتها وأهميتها:** يعتبر الغزالي أنّ أساس معرفة العلوم يعتمد على عدّة معايير وتتمثّل في مدى منفعة هذه العلوم للإنسان في حياته الدينية، وتقرّبه من الله وعلوم الدين، كذلك مدى منفعتها للإنسان من حيث ضرورتها وخدمتها لعلوم الدين، مثل

[1] – الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص 60.

[2] – أنظر مناد طالب: العقل والعقلانية في الفكر الإسلاميّ، دار العلماء، الجزائر، ط1، 2010، ص 68.

[3] – الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق بدوي طبانة، ج3، ص 17.

[4] – نفسه، ص 13.

علم اللغة والنحو.[1] بالإضافة إلى علوم تحقق للإنسان الاستمتاع وتتدخل في حياته الاجتماعية مثل الشعر والتاريخ والسياسة والأخلاق.[2] كما أكدّ الغزالي على العلوم التي ينتفع بها الإنسان في دنياه مثل الطب والحساب والصناعات المختلفة.

**4-الغزاليّ والمُعلّم:**

نظرا لأهمية العلم والتعليم عند الغزالي يؤكد على أهمية الاشتغال بالتعليم ويعلي من قدر أصحابها ويعظّم من شأنهم وخطر المسؤولية الملقاة عليهم يقول: "**من اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما خطراً جسيماً فليحفظ آدابه ووظائفه**".[3] هذا يعني أنّ التعليم في نظر الغزالي من جملة الصنائع التي تحتاج إلى المعرفة والدراية التي تؤهل صاحبها للاشتغال بهذه المهنة لأنّ المعلم تتعدد واجباته وأدواره التي يقوم بها وهو في كلّ هذا يعتمد على ما لديه من إمكانيات تؤهله للقيام بهذه الأدوار، ففاقد الشيء لا يعطيه فلا يمكن للمعلّم أن يعطي ما لم يكن لديه ما يستطيع أن يقدّمه لطلابه من زاد فكريّ وثقافيّ تربويّ.

لهذا يرى الغزاليّ أنّ المعلّم أو المربّي الذّي وكلت إليه مهمة التّعليم يجب أن تتوفر فيه جملة من الصفات يذكر أهمّها:

**الصفة الأولى:** يجب أن يتصف المعلّم بالشفقة والرحمة، لأنه بمنزلة الوالد يقول الغزاليّ:" **أول وظائف المعلّم الشفقة على المتعلمين**".[4] فالغزالي يرى أنّ شعور المتعلم بعطف معلمه وبرفق معاملته له يشعر المتعلم بالاطمئنان، وهذا الاطمئنان يساعده على تحصيل العلوم والمعارف، وهذا ما تدعو إليه التربية الحديثة بحيث يجب معاملة التلاميذ كالأبناء لكي يستطيع المعلم أن يؤثر في طلبته ويحفزهم على العمل والاجتهاد والإقدام على الدراسة بدون خوف وتردّد، فالمعلّم لا يكون ناجحا إلا إذا كان رحيما بالمتعلمين.[5]

---

[1] – محمد عبد الرزاق شفشق: الأصول الفلسفية للتربية، ص 142.

[2] – محمد منير مرسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص 268.

[3] – الغزالي: كتاب العلم من إحياء علوم الدين، تحقيق رضوان السيد، دار اقرأ، بيروت، ط5، 1986، ص 158.

[4] – الغزالي: ميزان العمل، ص 99.

[5] – أنظر محمد عطيّة الإبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها، ص 248-249.

**الصفة الثانية:** أن لا يدع من نصح المتعلّم شيء وذلك بأنّ يمنعه من التصدّر لرتبة قبل استحقاقها والاشتغال بعلم خفيّ قبل الجليّ.[1] فينبغي على المعلّم أن يكون مرشدا أميناً وصادقا مع تلاميذه ومخلصا في مهنته فلا يدع تلاميذه يبدؤوا دراسة أعلى قبل استنفاذ الدراسة التي قبلها.

**الصفة الثالثة:** أن يزجر الصبيّ عما يبدو منه من سوء الخلق بطريقة الرحمة، لا التوبيخ وأن يكون تأديبه بالبرهنة والتوجيه لا بالتخويف والوعيد، يقول الغزاليّ:" **فمن دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم لسوء الأخلاق...، بطريقة الرحمة لا بطريقة التّوبيخ فإنّ التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة**".[2] بمعنى الغزالي ينصح المعلّم بتجنب استخدام القسوة والخشونة في نصحه لأنّ التشهير بأخطاء الصغار يكون فضيحة أكثر منه نصيحة فقد تورث في نفسية الطفل نزعة الانتقام أو الانكسار وفقدان الثقة في النفس، وهذا ما تفطن إليه الغزاليّ، فيجبُ على المعلم أن يتجنب وضع تلاميذه في مواقف حرجة، بل يضعهم في مواقف إيجابية يتحقق فيها النجاح والإنجاز ويشعر من خلالها الطفل بالثقة في نفسه.

**الصفة الرابعة:** ألاّ يُقبّح في نفس المتعلم العلوم الأخرى التي يدرسها، يقول الغزالي: "**إنّ المتكفّل ببضع العلوم ينبغي أن لا يُقبّح في نفس المتعلم العلوم التي ورائه**".[3] فالمعلّم مطالب بألا يقلل من قيمة العلوم التي ليست من اختصاصه على حساب تمجيد علمه، لأنه بهذا قد يكون عائقاً في مجال البحث أمام تلاميذه ويبعث في نفوسهم الركون لعلم واحد وهذا خطأ في نظر الغزاليّ، فمن غير الصواب أنّ يتعصّب المدرّس لمادّته فيستحسنها ويستقبح غيرها.

[1] – الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج1، دار الحديث، القاهرة، (ب ط) 2004، ص 79.
[2] – الغزالي: كتاب العلم من إحياء علوم الدين، تقديم رضوان السيد، ص 162.
[3] – نفسه، ص 162.

**الصفة الخامسة:** يجب على المعلّم أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه، فلا يلقي إليه مالا يبلغه عقله فيختلط عليه الأمر.[1] فيجب على المعلّم أن يتدرج في تعليمه وأن يعطيّ طلبته على قدر فهمهم، فلا يلقي إليهم مالا يعقلونه، وكأنّ الغزالي ينادي بمراعاة مبدأ الفروق الفرديّة وبهذا قد سبق فلاسفة التربية الحديثة فالغزاليّ يأخذ في عين الاعتبار استعداد التلميذ العقليّ وقدرته على تقبّل المعارف وهذا خير مبدأ نادت به التربيّة الحديثة في القرن العشرين فواجب المعلم أن يخاطب طلبته باللغة التي يفهمونها والعبارات التي يدركونها.

**الصفة السادسة:** أن يكون المعلّم قدوة حسنة وأن يطابق قوله فعله، يقول الغزالي:" ... **أن يكون المعلّم عاملا بعلمه، فلا يكذب فعله قوله، لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار...، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد، وكلّ من تناول شيء وقال للناس لا تتناوله فإنه سمّ مهلكٌ**".[2] بمعنى كان حرص الغزاليّ الشّديد أنّ التمسّك بالمبادئ والعمل على تحقيقها يجب أن تكون من صفات المعلّم المثاليّ، لكي يكون المعلّم قدوة صالحة لتلاميذه، ولكي لا يفقد التلميذ ثقته بمعلّمه.

**الصفة السابعة:** إن اعتبار الغزاليّ التربية والتعليم رسالة قبل أن تكون مهنة أو وظيفة جعلته يقتدي بصاحب الشرّع صلوات الله عليه وسلامه، فلا يطلب على إفادة العلم أجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكرا بل يعلّم لوجه الله، فالغزاليّ يحتقر فكرة تقاضي الأجر من أجل التعليم يقول:" **فمن طلب بعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه**".[3] وقد عيّب على الغزاليّ هذا الرأيّ من جانب دراسيّ التربية الإسلاميّة لأنه رأيّ لا يتفق مع الواقع بل إنه في هذا الرأيّ خالف سابقيه من علماء المسلمين الذين قالوا بجواز أخذ أجر عن التّعليم بل اعتبروا ذلك ضرورة لنشر العلم بين النّاس، ولعلّ الغزالي كان متأثرا في هذا الرأيّ بما ورد لدى أفلاطون الذّي كان يؤمن بنفس الرأيّ وعاب على السفسطائين في عصره

[1] – الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج1، ص 81.

[2] – نفسه، ص 165.

[3] – نفسه ، ص 79.

أنهم يأخذون أجرا على التعليم، وقد انتقد هذا الرأيّ لأفلاطون واعتبروه رأي مثالياً لا يتفق مع الواقع المعيش ولا واقع الاشتغال بالتعليم كمهنة.[1]

لكن اليوم أصبحت مهنة التعليم مهنة لكسب العيش لأنّ معايير الحياة تغييرت وأصبح المعلّم بحاجة إلى المال لسدّ حاجاته وحاجات بيته وأسرته، وهذا ما لا ننكره ولكن نطلب من مدرّسي اليوم الإخلاص في عملهم والمحافظة على مستقبل تلاميذهم، لأنّ مهنة التعليم مهما تغييرت معايير الحياة تبقى مهنة شريفة ليست مهنة تجاريّة.

إنّ هذه العناية الكبرى للمعلم والنصائح التي وجهها له تدلّ على قيمة العلم والمؤدي لرسالة العلم وهذا وإن دلّ على شيء إنما يدلّ على المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتق المعلّم لأنّ على يده تربى الأجيال وتوجّه العقول وترقى الأمم، بالإضافة إلى أنّ الغزاليّ كما وضع للمعلّم شروطا وضوابط يجبُ أن يؤديها، جعل للمتعلّم هو الآخر وظائف وصفات يجب أن يتحلّى بها، وهي كالآتي:

**5-الغزاليّ والمتعلّم:**

كما تعرّض الغزاليّ للمعلّم وأشار إلى بعض الصفات المهمة التي يجب أن يتحلى بها في تأدية واجبه لكي يكون معلما ناجحا، تعرّض كذلك إلى تحديد بعض الصفات التي يجب أن يتحلى بها المتعلّم بها هو الآخر، لكي يكون أهلا للعلم وقد حرصها الغزالي ونظمها في عشرة جمل، يقول الغزال:" **أما المتعلّم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظّم تفريقها عشرة جمل**".[2] وتأتي هذه الوظائف على التّرتيب التّالي:

**الوظيفة الأولى:** يجب على المتعلّم أن يطهّر قلبه من الأخلاق المذمومة والرديئة لكي يستطيع تحصيل العلم، يقول الغزالي:"... **وكما لا تصحّ الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث، فكذلك لا تصّح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته من خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف** ".[3] فلما

[1] – أنظر محمد منير مرسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص 273.

[2] – الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج1، ص 80.

[3] – نفسه، ص 80.

كان التعليم نوعا من العبادة وجب أن تكون أولى صفات المتعلم طهارة النفس من الأخلاق والصفات الرديئة التي قد تكون حائلا يمنع المتعلم من تحصيل العلم.

**الوظيفة الثانية:** يجب على المتعلم أن يقلل من تعلقه بأمور الدنيا، لأنّ التعلّق بالدنيا وشؤونها قد يلهيانه عن طلب العلم، يقول الغزاليّ:"... **أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا...، فإن العلاقة شاغلة وصارفة**".[1] فطالب العلم يجب ألا يشتغل بترف الدنيا وملذاتها لكي يستطيع أن يحصّل العلم بصورة جيّدة.

**الوظيفة الثالثة:** يجب على المتعلم أن يتواضع وأن لا يتكبر على معلمه لينال الأجر والعلم معا فالحكمة ضالة المؤمن، يغتنمها حيث يظفر بها يقول الغزالي:" **ألا يتكبر على العلم ولا يتأمر على معلّم بل يلقي إليه زمام أمره بكليّة...، وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشّرف بخدمته**".[2] بمعنى أنّ العلم ينال بالتواضع وحسن الإصغاء وحسن السماع بالإضافة إلى أنّ خدمة الأستاذ شرف يجب أن يسعى إليه كلّ متعلّم.

**الوظيفة الرابعة:** ينصح الغزاليّ المتعلّم أن يحترس من الإصغاء إلى مختلف المذاهب أو يدخل في جدل أو مناظرة مع العلماء وهو لا يزال ناقصا التعلّم حتّى لا يتشتت فكره، بل يجب على المتعلّم أن يتأكد من المذهب الصحيح الذي يرضى عنه أستاذه حتى يتكمن بعد ذلك من المشاركة في الجدل والمناظرة.[3]

**الوظيفة الخامسة:** يجب ألا يهمل المتعلّم من دراسته أيّ علم من العلوم المحمودة، سواء كانت دينيّة أو دنيويّة، فالمعرفة المتعدّدة النّواحي أفضل من المعرفة المحدودة، يقول الغزاليّ:" **ألا يدع طالب العلم فنّا من العلوم المحمودة ولا نوعا من أنواعها إلا وينظر فيه نظرا يطلّع على مقاصده وغايته، ثمّ إن ساعده العمر تبحّر فيه وإلا اشتغل بالأهمّ منه واستوفاه**".[4] هذا يعني أنّ الغزالي يريد من المتعلم في بداية علمه أن يعرف شيء من كل

[1] – الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج1، ص 81.

[2] – نفسه، ص 144-145.

[3] – نفسه، ص 147.

[4] – الغزالي: كتاب العلم إحياء علوم الدين، تقديم رضوان السيد، ص 148.

شيء فإذا أراد التخصص في علم محدد تبحّر فيه، وعرف عنه كل شيء يقول محمد عطيّ الإبراشي:" ... **وهذا ما تنادي به اليوم التربيّة لأنّ الحياة قصيرة وطاقة الإنسان محدودة، ولا يستطيع أن يجيد أكثر من فرع واحد**".[1] ففكرة التّخصّص ليست فكرة جديدة علينا بل كان للغزاليّ الفضل في التأسيس لها.

**الوظيفة السادسة:** يجب على المتعلم ألا يخوض في فنّ من الفنون دفعة واحدة، بل يراعي الترتيب ويبدأ بالأهمّ.[2] لأنّ الترتيب لدراسة العلوم المختلفة يساعد المتعلم على التحصيل المنظّم والمفيد.

**الوظيفة السابعة:** يجب على المتعلم ألا يخوض في فنّ من فنون العلم حتى يستوفي الذي قبله لأن العلم مرتب ترتيبا ضرورياً، يقول الغزالي:"... **إنّ العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق إلى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدرّج**".[3] لأنّ فهم بعض العلوم يكون طريقا لفهم العلوم الأخرى فيجب مراعاة الترتيب والتدرج لفهم العلوم ولعلّ أنّ الغزاليّ قد أصاب حقّ الإصابة في هذا.

**الوظيفة الثامنة:** يجب أن يعرف المتعلم قيمة العلوم التي يدرسها، يقول الغزالي:" **أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم، وأنّ ذلك يراد به شيئان أحدهما: شرف الثمرة والثاني وثيقة الدّليل وقوّته**".[4] بمعنى يجب أن يعرف المتعلم الفائدة والنتائج التي قد يحصلها من العلم الذي يدرسه وكأنه يريد بهذا من طالب العلم تجنب العلوم التي تكون مضرّة ولا تعود بالنفع عليه ولا على غيره.

[1] – محمد عطيّة الإبراشي: لتربية الإسلامية وفلسفتها، ص 248.
[2] – الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق السيد عمران، ج1، ص 74.
[3] – نفسه، ص 75.
[4] – نفسه، ص 75.

**الوظيفة التاسعة:** يجب على المتعلّم أن يهدف من تعلّمه إلى غرضين أولهما: تجميل نفسه وتهذيبها والآخر هو التقرّب من الله عزّ وجلّ، ومعنى ذلك أن تكون العلوم الدينية هي أهمّ العلوم وأنفعها ولكن بدون إهمال للعلوم الدنيوية المفيدة.[1]

**الوظيفة العاشرة:** وفي الأخير يحذّر الغزاليّ المتعلّم من أن يبغي من وراء علمه الرياسة أو المال والمباهاة أمام أقرانه، يقول الغزالي:" **أن يكون قصد المتعلم في الحال تحليه باطنه وتجميله بالفضيلة...، ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه، ومباهاة الأقران**".[2] فالمتعلّم الذي يبغي من وراء علمه تحصيل المال أو الرياسة أو المباهاة فقد حاد عن جادة الصواب وتخلى عن الباقية من أجل الفانية.

إنّ الغزالي من خلال تحديده للمبادئ والقواعد التي يجب أن يسير عليها المعلم والمتعلم استطاع أن يحلّل نفسية المعلم والمتعلم، ويضع لها ضوابط وشروط تحكمها وهذا وإن دلّ على شيء وإنما يدلّ على نضج وخصب قريحته، وعلى قدرته الكبيرة في معرفة نفسية المعلم والمتعلّم وهذا لا يقلّ شأناً عن النّظريات الحديثة في علم النّفس التربويّ.

كما أنّ الغزالي له فلسفة تربوية واضحة ومحددة لذلك فإنه عندما كتب عن التربية بدأ يشرح الأغراض التي يقصد بها التعليم مسترشدا بفلسفته الصوفية والواقعية في آن واحد بالإضافة إلى أنه عندما فكر في وضع منهج دراسي للمعلم والمتعلّم، وضعه وفقا لخطته التي رسمها في التربية بحيث تتماشى مع الأهداف التربوية التي وضعها وعلى ذلك وصف العلوم وقسّمها ووضعها في درجات تنازلية حسب المعايير التي كونتها لتقاس بها قيمتها من حيث نفعها للمتعلم أو ما تسببه له من الضّرر، فوضع ما ينبغي أن تقوم عليه الروابط التي تربط بين المعلّم والمتعلّم وبهذا وضع حجر الأساس التي ينبغي أن تسير عليه طريقة التربية والتعليم.

لأجل هذا يقف الغزالي في صفّ واحد مع عمالقة المربين الذين وضعوا نظاما تربويا مرسوما وفقا لفكرة معينة وفكرة فلسفية محددة، سواء قبله أمثال سقراط وأفلاطون، أو بعده أمثال جان جاك روسو وجون ديوي.

[1] – أنظر الغزالي: كتاب العلم من إحياء علوم الدين، تحقيق رضوان السيد، ص 151-152.

[2] – نفسه، ص 151.

**المبحث الثالث: المعرفة**

بعد الحديث عن العلم خاض الغزالي في رحلة البحث عن اليقين، أو المعرفة اليقينية مستخدما في ذلك الشكّ* لينتهي موقنا ومؤمنا، فنظرية المعرفة عند الغزالي شبيهة إلى حدّ كبير بنظرية المعرفة في التنظير الميتافيزيقيّ عند أفلاطون فالغزاليّ يقسم الوجود إلى عالمين شبيهين بعالميّ أفلاطون وهما عالم المحسوسات والمثل العليا، ولكن بالنسبة للغزاليّ هما عالم الملك وهو العالم المادي المحسوس الذي نعيش فيه، وعالم الملكوت الذي يشبه عالم المثل عند أفلاطون.

والغزالي في بحثه عن المعرفة ربطها بالعالمين الذين تمّ ذكرهما سابقا، من خلال تحديده للطريقة التي يمكن من خلالها أن يحصّل الإنسان المعارف والعلوم، ويحددها الغزالي في طريقين: الطريق الأوّل هو التعليم الإنساني، أو بعبارة أخرى هو العقل والحواس والخبرة الإنسانية من جهة، والطريق الثاني هو التعليم الرباني أو الإلهام والوحيّ من جهة ثانية فالعقل والحواس والخبرة الإنسانية هي الطريق إلى معرفة عالم الملك، أما الوحيّ والإلهام فهما الطريق إلى معرفة عالم الملكوت.[1]

فالمعارف التي يحصل عليها الإنسان في حياته ثلاثة أنواع: المحسوسات التي يدركها الإنسان بحواسه والمعقولات التي يدركها الإنسان بعقله، والغيبيات التي يدركها الإنسان بوجدانه، وهذه المعرفة الأخيرة هي أعلى من المعرفة الحسية والمعرفة العقلية بالنسبة للغزاليّ لأنّ أحكام الحواس والعقل قابلة للخطأ والزلل، وأحكام الوجدان والكشف والإلهام غير قابلة لذلك فهي أحكام صادقة، لذلك اتهمّ الغزالي بأنه هجر العلم والعمل ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب وهذا ما اتّهمه به أبو بكر الطرطوشيّ.[2] لكن لماذا يؤكد الغزالي على

* الشكّ بوجه عام هو تعليق الفصل بين قولين متناقضين لا يظهر رجحان أحدهما ولفظ الشكّ يرجع إلى كلمة يونانية معناها البحث والتقصي من أجل كشف الحقيقة.

[1] – أنظر سيد ابراهيم الجيّار: دراسات في الفكر التربويّ، وكالة المطبوعات، الكويت، (ب ط) 1974، ص 149-150.

[2] – أنظر يوسف القرضاوي: الغزالي بين مادحيه وناقديه، ص 118.

أنّ المعارف الحسية والعقلية، قابلة للخطأ والزلل في مقابل المعارف الوجدانية، نجده يطمئن إليها؟.

إنّ هذا لم يكن من قبيل العبث والتقليل من قيمة الحواس والعقل، بل من قبيل الشكّ الذي مارسه الغزالي على كل من الحواس والعقل كأدوات للوصول إلى الحقيقة لينتهي به المطاف إلى المعرفة الوجدانية التي يعتبرها هي المعرفة اليقينية، فالغزاليّ مر بثلاث محطات في بحثه عن المعرفة فشكّ في الحواس، ثم شك في العقل، حتى وصل إلى اليقين، ولتوضيح هذا سأتناول كلّ مرحلة بالتفصيل.

**1-شكّ الغزالي في الحسّ:**

لقد بدأ الغزالي طريق البحث عن الحقيقة من الثقة في الحسّ والمحسوسات، ولم يلبث أن وجد شكوكا تحيط باستخدامه أدوات الحسّ في المعرفة بعد أن شك من قبل في النقليات الموروثة.[1] فثبت له أنّ المحسوسات مليئة بالأخطاء والمغالطات المليئة بالأخطاء لذا رفضها وطرحها جانبا، يقول الغزالي:" ...**فانتهى بي طول التشكيك إلى أن لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات، وأقواها حاسة البصر وهي تنظر للظل فتراه واقفا غير متحرّك، وتحكم بنفيّ الحركة؟، ثمّ بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف أنه متحرّك...، قلت: بطلت الثقة بالمحسوسات**".[2] إنّ هذا الاختبار للحواس أكد للغزالي أن شكه كان صحيحا ذلك أنّ الحس قد يحكم على الساكن أنه متحرّك والعكس، وهنا قرر أنّ المعرفة الحسية غير يقينة ولذلك فلا تمثل علما حقيقيا.[3]

**2-شك الغزاليّ في العقل:**

إنّ المبادئ العقلية كانت تبدو للغزالي في الوهلة الأولى غير قابلة للشكّ، ولكن سرعان ما شكّ فيها فإذا كان العقل قد شكّك في قيمة الحسّ، فإن الحسّ يثير الغزالي ضد

[1] – مصطفى النشار: فلاسفة أيقظوا العالم، دار قباء، القاهرة، ط3، 1998، ص 176.

[2] – الغزالي: معيار العلم، تحقيق سليمان دنيا، ص 62-63.

[3] – محمد حسن مهدي بخيت: ظاهرة الشك بين الغزالي وديكارت، عالم الكتب الحديث، الأردن، (ب ط) 2012، ص 38.

العقل، بحيث يتخيله الغزالي فيقول:" **بما تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات، وقد كنت واثقا بي فجاء العقل وكذّبني، ولولا حاكم العقل لكنت تستمرّ على تصديقي فلعلّ وراء إدراك العقل حاكما آخر**".[1] وقد تمهل الغزالي في الحكم على العقليات وأخذ يتأمل المشكلة أنه يرى في المنام أمورا ويتخيّل أحوالا، ويعتقد أن لها ثباتا واستمرارا ثم يستيقظ فيعلم أنه لم يكن لجميع متخيلاته أيّ صلة بالصّواب، فيتأكد أنّ جميع ما توهم بعقله خيالات لا حاصل لها.[2]

فالغزالي هنا يتأمل في حالة النوم، حيث تنخفض قدرة الإنسان على المعرفة فالوعيّ يكون معزولا ويصير النائم خاضعا لما يحدث في أثناء الرؤيا من تخيّلات معتقدا أنها حقائق وبعد اليقظة يعرف الإنسان أنها مجرّد خيالات وأوهام.

كان هذا موقف الغزالي من العقل والحواس كأداتين للمعرفة وتحليله لمدى صدق ما ينقلانه لنا من معارف، وفي هذا نجد تشابه كبير بين ديكارت أبو الفلسفة الحديثة والغزاليّ في حالة الشك التي عاشها الغزالي في كتابه "المنقذ من الضلال" وعاشها ديكارت في كتابه " تأمّلات".

وبعدما شكّ الغزالي في الحواس واكتشف أنها كاذبة اتجه إلى العقل، فوجده هو الآخر يخطئ ولا يمكن الوثوق به، فحاول أن يجد حلاّ فلم يتيسر له ذلك حتى قذف الله نور البصيرة في قلبه، ففارق الشكّ ووصل إلى اليقين، لكن كيف ذلك؟.

**3-اليقين عند الغزالي:**

عندما لم يجد الغزالي في شكّه علاجا أعضل عليه الأمر ودام تقريبا شهرين كما يصف ذلك في المنقذ وهو فيها على مذهب السفسطة حتى شفاه الله من ذاك المرض، بنور قذفه في صدره يقول الغزالي:" **حاولت لذلك علاجا فلم يتيسر...، فأعضل هذا الداء ودام تقريبا من شهرين أنا فيها على مذهب السفسطة، بحكم الحال لا بحكم النطق**

[1] – الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق جميل صليبا، كمال عياد، ص 85.

[2] – نفسه، ص 85.

**والمقال حتى شفاني الله تعالى من ذلك المرض وعادت النفس إلى الصّحة والاعتدال بنور قذفه الله في صدري**".[1] إننا لا نجد في هذا النور سوى تفسير واحد وهو قولنا إنه كشف باطني أو حدسي داخليّ يطلع النفس مباشرة على البديهيات والحقائق الأولى لأنّ الأوليات لا تدرك بالنّظر والاستدلال بل تدرك بالحدس وهي حاضرة في الذّهن، يقول الغزالي محددا المعرفة الحدسيّة: " **من مارس العلوم يحصل له عند طريق الحدس قضايا لا يمكن إقامة البرهان عليها ولا يمكنه أن يشارك فيها غيره بالتعليم إلا أن يدلّ الطّالب على الطريق الذي سلكه واستنهجه**".[2]

فعلى الرغم من أنّ المعارف الحدسيّة معارف لا يمكن المشاركة فيها إلا أن الغزالي يشير إلى أنّه يمكن الوصول إليها، وذلك من خلال ثلاث مراحل هي: التّخلية، التّحلية، التّجلية وسنأتي للتفصيل فيها فيما بعد.

ولا يظنّ أحد أنّ تلك التجربة المعرفية التي عاشها الغزالي كانت مجرد تجربة نفسية خرج منها إلى يقين الصوفية، دونما إعلاء لشأن العقل والحواس، فقد كانت تجربة رغم أبعادها الشعورية النفسية التي وصفها صاحبها تجربة واعية بأهمية ودور الحواس والعقل في المعرفة، فقد أشار الغزالي بضرورة استخدام العقل، ولكن العقل المؤدب بالشرع كما ذكرنا سالفا، وهذا عن طريق تربية العقل بحيث يستطيع أن يميّز ويحلل ويعلل كلّ ما أوردته له الحواس، كما هو الحل كذلك بالنسبة للحواس فيجب تربيتها لأنها دليل الإنسان لمعرفة الله من خلال معرفة هذا الكون ومن خلال معرفة الإنسان لنفسه وطبيعة تكوينه وتركيبته.[3]

والغزالي في هذا يؤكد على دور التربية في تربية الحواس والعقل، كما أنّ للتربية دور كذلك في الوصول إلى المعرفة اليقينية، فكيف ذلك؟.

[1] – الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق جميل صليبا، كمال عياد، ص 86.

[2] – الغزالي: معيار العلم، تحقيق سليمان دنيا، ص 192.

[3] – أنظر عبد الكريم عثمان: الدراسات النفسية عند المسلمين الغزالي بوجه خاص، ص 360.

**4-دور التربية في الوصول إلى المعرفة اليقينية:**

لقد آمن الغزالي بالمعرفة الوجدانية واطمأنت بها نفسه وتبددت بها شكوكه عندما توصل إليها وحتى هذه المعرفة يجب اتباع طريقة تربوية للوصول إليها انطلاقا من المرحلة الأولى وهي مرحلة " **التخلية**" بمعنى التخلي عن الشهوات والغرائز والأخلاق المذمومة يقول الغزالي: " **ثمّ إني لما إنتهية من هذه العلوم أقبلت بهمتي على طريق الصوفية ...، كان حاصل علومهم قطع عقبات النفس والتنزه عن الأخلاق المذمومة والصفات الخبيثة حتى نصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله**".[1] ثمّ ينتقل الغزالي إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة " **التحلية**" بمعنى بعد تخلية وإفراغ النفس من الأمراض والخبائث والسموم التي تصبح قابلة للمعارف فنحليها بمعرفة الله يقول الغزالي:"... **تطهير بالكلية عما سوى الله تعالى...، استغراق القلب بالكلية بذكر الله**".[2] وبهذا يصل الغزالي إلى المرحلة الأخيرة وهي مرحلة "**التجلية**" فتتجلى المعارف للمتعلّم فهي الثمرة النهائية للتربية من خلال اتباع هذه المراحل يقول الغزالي:" ... **تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة والاقبال بنكهة الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتوليّ لقلب عبده والمتكفل بتنويره بأنوار العلم**".[3]

من خلال هذه المراحل الثلاثة نجد أنّ الغزالي يجمع بين التعليم الإنساني الذي يقوم على تربية العقل والحواس والتعليم الرباني الذي يقوم على تربية القلب والوجدان، فبتعاضد التعليم الإنساني والتعليم الرباني يرتقي الإنسان إلى مرتبة الإشراق ويحصل على المعرفة اليقينيّة يقول الغزالي:".... **فليس على العبد إلا الاستعداد بالصفة المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التّامّ والتّرصّد بالدوام في انتظار لما يفتحه الله تعالى من رحمة**".[4] فالبرغم من أنها معرفة ربانية إلا أنها تحتاج إلى تعليم إنسانيّ ينطلق من الإرادة

[1] - الغزالي: منقذ من الضلال، تحقيق جميل صليبا، كمال عياد، ص 130.
[2] - نفسه، ص 140.
[3] - الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج3، ص 25.
[4] - نفسه، ص 25-26.

والتعطش إلى درك الحقائق والمعارف التي قد ينمّيها المعلم في نفسية المتعلم وهنا يظهر دور التربية في تنمية الإرادة وصقل الهمم لدى الطّلبة وتحفيزهم على اتخاذ الأسباب التي تبلغهم الحقيقة وعدم الوقوف على المعارف القبلية المكتسبة والموروثة فقط.

وهذا يحيلنا إلى ضرورة تهذيب النفس بالعلم، لكي لا يخالطها الفساد يقول الغزالي: " ... **وإذا لم يتقدّم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نبتت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها**".[1] لذلك يعيب الغزالي طريق بعض الصوفية الذي استبدل طريق العلم والبحث بطريق الخيال والأوهام المغلوطة، فضلوا عن السبيل يقول: " **فكم من صوفيّ سلك هذه الطريق ثمّ تيّقن في خيال واحد وعشرين سنة، ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه الالتباس لذلك الخيال في الحال، الاشتغال بطريق التعليم أوثق**".[2] بمعنى تأكيده على ضرورة التعليم وإعمار النفس والقلب بالعلم لكي تكون الأمور أوضح لأنه هناك من فهم صوفية الغزالي بخطأ بأن المعرفة الإشراقية عند الغزالي تبعد الجانب العلميّ والمعرفيّ عنها وتركز فقط على معرفة الله، وهنا يردّ الغزالي نفسه على هؤلاء فيقول:" **فزعموا أن النبيّ صلى الله عليه وسلّم لم يتعلم ذلك، وصار فقيها بالوحيّ والإلهام من غير تكرير وتعليم...، ومن ظنّ ذلك فقد ظلم نفسه وضيّع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور كنز من كنوز فإنّ ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا**".[3] فالطّريق الذي يفضله الغزالي للوصول إلى المعرفة اليقينية هو طريق طلب العلم، وهو طريق ممكن. إنّ التربية الصوفية عند الغزالي هي في الأصل خبرة مضافة في طرائق التعامل مع ملكات الإنسان المتنوعة وترتيبها وتنسيقها وفقا

[1] – ا لغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج3، ص 27.

[2] – نفسه، ص 27.

[3] – نفسه، ص 27.

لسلّم من القيّم، يتيح إنتاج سلوك إنسانيّ سويّ ومنضبط مقبول[1] من خلال اتّباع المراحل التّي حدّدها الغزالي.

ويظهر من خلال هذا كلّه دور التربية في تصفية القلب وجعله قابلا للمعارف والعلوم فكلما كان القلب صافيا كان أكثر استعداد لتقبّل المعرفة، إذ أنّ استعداد القلب للكشف والاطلاع على الأسرار الإلاهية ومعرفتها يتناسب طرديّا مع درجة صفائه ونقائه وبالعكس فإنّ الآثام والجهل بمثابة حاجب كثيف يفسد القلب ويمرضه ويقيد وظائفه التي وجد من أجلها، لذلك أكدّ الغزالي على دور المعرفة والعلم إذ نشر نظريته في المعرفة جنبا إلى جنب مع النموّ النفسيّ للإنسان.

انطلاقا من هذا جاء مفهوم التربية الصوفية عند الغزالي كنظام تربويّ أصيل ومتميز يؤسس لنفسه كتجربة فعالة في إيصال التربية إلى مداها في ضبط سلوك الفرد وفق منظومة قيمية روحية وأخلاقية نستطيع من خلالها استيعاب تطلعات الانسان والاستجابة المثالية لمختلف احتياجاته والوسيلة إلى بلوغ هذا، لذلك أطرها الغزالي في ثلاث مفاهيم أساسية جمعت بين التعليم الإنساني والتعليم الرباني وهي: " التّخلية" و "التّحلية" وصولا إلى "التجليّة" وهي المرحلة التي تظهر فيها الثمرة النهائية للتربية.

إنّ فهمنا لطبيعة الفكر التربوي عند الغزالي اقتضى منا التعرّض إلى ثلاث مفاهيم أساسية قامت عليها نظرية التربية عنده هي: الإنسان والعلم والمعرفة، فكانت هذه المفاهيم هي الأرضية الصلبة لتحديد الأسس والأبعاد الفلسفية لنظرية التربية عند الغزالي وهذا ما سنتعرض إليه في الفصل الثالث والرابع.

[1] – أنظر أوسرير محمد: التربية الإسلامية الصوفية من مجتمع المخاطر الى الأمن الاجتماعي، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، (ب ط) 2013 ص 266.

# الفصل الثالث:

# أسس التربية عند الغزالي

## الفصل الثالث: أسس التربية عند الغزالي

لقد تعرضنا لطبيعة الفكر التربويّ عند الإمام الغزاليّ، من خلال فهمنا للطبيعة الإنسانية باعتبار أنّ فهم طبيعة الإنسان هي التي تساعدنا على تربية هذه الطبيعة وتوجيهها نحو الطريق الصحيح البعيد عن كلّ زلل وفساد، هذا ما يتطلب منا معرفة الميادين التي يمكن من خلالها تربية الفرد من جميع النواحي والجوانب المكوّنة لشخصيته لكي يتسنى للمربّي وضع مجموعة من الطرق تساعده على القيام بمهامه التربوية على أكمل وجه، كما تساعد كذلك المتعلّم على التحصيل الجيّد وهذا ما سنأتي للتفصيل فيه ولكن انطلاقا من ضبط مفهوم التّربية.

### المبحث الأوّل: مفهوم التربية

إنّ مفهوم التربية كغيره من المفاهيم ذا دلالة لغوية واصطلاحيّة والذي أخذ معاني اختلفت باختلاف الفلاسفة والمفكرين، بالإضافة إلى معاني وردت مع الإمام الغزاليّ.

### 1-التربية لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: ربا يربو بمعنى زاد ونما[1]، وفي القرآن الكريم قال تعالى:﴿**وَترَى الأرضَ هَامِدَةً، فَإذا أَنزَلنَا عَليهَا المَاء، اهتَزت وَربَت، وَأنبَتَت مِن كُلّ زَوج بَهيج**﴾.[2] أيّ نمت وازدادت.

وتفيد كلمة التربية عند العرب قديما السياسة والقيادة والتنمية، وكان فلاسفة العرب يسمون هذا الفنّ سياسة كما هو معروف عند ابن سينا مثلا في رسالته" سياسة الرجل أهله وولده" وكانوا يقولون عن الذي ينشئ الولد ويرعاه المؤدّب أو المهذّب أو المربيّ أو المعلّم، غير أنّ لفظ المؤدّب أشيع لأنّها تفيد الرياضة والسياسة وتدلّ على العلم والأخلاق معا، وبناء ذلك يكون في معنى التربية قولنا تربية الكائن البشريّ إنماؤه وترقيته ليبلغ نضجه بشكل متكامل دون إغفال لأيّ جانب من جوانب شخصيته.[3]

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، تقديم عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة،(ب ط) (ب ت) ص 1546.

[2]- سورة الحجّ، الآية 05.

[3]- عبد الله قلي، فضيلة حناش: التربية العامة، الجزائر، (ب ط) 2009، ص 11.

**2-التربية اصطلاحا:**

يعدّ مصطلح التربية من أكثر المصطلحات اتساعا وشمولا ونجد له تعريفات عديدة من بينها ما جاء في المعجم الفلسفيّ لجميل صليبا، أنّ التربية هي تبليغ الشيء كماله، أو هي كما يقول المحدثون تنمية الوظائف النفسيّة بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيء فشيئا، تقول: ربيت الولد إذ قوّيت ملكاته، ونميت قدراته إذا أحكمته التّجارب وأنشأ نفسه بنفسه.

ومن شروط التربية الصحيحة أن تنمي شخصية الطفل من الناحية الجسميّة والعقلية والخلقيّة حتى يصبح قادرا على مسايرة الطبيعة والحياة ويعمل على إسعاد نفسه وإسعاد الناس، كما تعدّ التربية ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الأخرى في نموها وتطورها.[1] وهي مسار يقوم على تطوّر الوظيفة أو عدّة وظائف تطوّرا تدريجيا بالتدريب وعلى تجويدها واتقانها.[2]

إذن التربية تعتبر عملية شاملة تتناول الإنسان من جميع الجوانب المشكلة لشخصيته النفسية والعقلية وحتى السلوكية، وطريقة تفكيره وأسلوبه في الحياة لإعداده لحياة مستقبلية أحسن وأفضل.

فالتربية الكاملة هي التي تحفظ الصحة البدنية والقوة الجسميّة للتلميذ وتمكنه من السيطرة على قواه العقلية وتزيد في سرعة إدراكه وحدة ذكائه وتعوده على سرعة الحكم والدقة وتقوده إلى أن يكون رقيق الشعور يؤدي واجباته[3] في وقتها وعلى أكمل وجه.

ولمصطلح التربية مفاهيم فرديّة واجتماعيّة ومثالية:

**أ-التربية بالمعنى الفرديّ:** هي إعداد الفرد لحياته المستقبلية وبذلك فهي تعده لمواجهة الطبيعة، كما تكشف بذلك عن مواهب الطفل واستعداداته الفطريّة وتعمل على تنميتها.[4]

[1]- جميل صليبا: المعجم الفلسفيّ، ج1، مادة التربية، دار الكتب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص 266.
[2]- أندريه لالاند: الموسوعة الفلسفية، ج1، مادة التربية، عويدات للنشر والطباعة، لبنان، 2008، ص 322.
[3]- عبد الله قلي، فضيلة حناش: التربية العامة، ص 12.
[4]- نفسه، ص 13.

**ب–التربية بالمعنى الاجتماعي:** فهي تعلم الفرد كيف يتعامل مع مجتمعه وتعلمه خبرات مجتمعه السابقة، والحفاظ على تراثه لأن التراث هو أساس بقاء المجتمعات.

**ج–التربية بالمعنى المثالي:** فهي تعني الحفاظ على المثل العليا للمجتمع الأخلاقية والاقتصادية والإنسانية النابعة من تاريخ الأمة ومن حضاراتها وثقافتها ومن خبراتها الماضية ومن دينها وعن طريق تعاملها وعلاقتها بالأمم الأخرى، فالتربية عموما ما هي إلا وسيلة للتقدم البشريّ في كلّ مكان.[1]

من خلال ما سبق يمكن القول أنّ التربية في النهاية هي تلك العملية التي تزود المتعلم بالمعارف والتجارب والتي تغذي وجدانه وتنمي ميوله ومواهبه وقدراته العقلية وتعوّده على العادات الحسنة، وتجنبه من العادات السيئة، فينشأ قويّ الجسم سليم العقل، حسن الخلق يستطيع أن يؤدي رسالته في هذه الحياة.

**3–التربية عند الغزالي:**

كما رأينا في تحليلنا السابق للطبيعة الإنسانية والجوانب المشكلة لشخصيته الروحية والجسمية والنفسية والعقلية، نجد أن الغزالي كان يسعى إلى تحقيق الوحدة والتكامل بين هذه الجوانب من خلال التربية لأن التربية عنده هي عملية رعاية وبناء لشخصية الطفل من خلال تحقيق التّكامل بين الجوانب المشكلة لشخصيته بحيث يصبح فردا صالحا من خلال أسس ثابتة تراعي طبيعة الإنسان القائمة على ضرورة التوازن بين متطلبات الجسد والروح والعقل من خلال هذا جاء مفهوم التربية عند الغزالي بإيجاز ووضوح في قوله:" **ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه**".[2]

فالتربية عند الغزالي هي عملية يتمّ من خلالها تهذيب النفوس من الأخلاق المذمومة والمهلكة، وإرشادها إلى الأخلاق المحمودة لأجل أن يبلغ الإنسان درجة الكمال، وهذا لإيمان

[1]– عبد الله قلي، فضيلة حناش: التربية العامة، ص 13، 14.

[2]– الغزالي: أيها الولد، تحقيق: صباح محمد عليّ كاظم، مطبعة العاني، بغداد، (ب ط)، 1988، ص 76.

الغزالي بقدرة التربية على تعديل سلوك الفرد وتنميته في إطار الأخلاق القويمة والتي تقوم على التسليم بالفطرة الإنسانية وهذا سنأتي لتوضيحه في الفصل الأخير من بحثنا لاحقا.

فالتربية عند الغزالي تتحقق مع الهدف الأساسيّ الذي جاهد للوصول إليه من خلال دور التربية في تكوين فرد صالح، يؤدي رسالته في الحياة بطريقة سليمة ومتوازنة وصحيحة.

**المبحث الثاني: ميادين التربية عند الغزالي**

من خلال مفهوم التربية نفهم أن محور العملية التربوية بالنسبة للغزالي هو الإنسان الذي نظر إليه من جميع الجوانب المشكلة لشخصيته، سواء مادية أو معنوية فكان له موقف واضح من كلّ جانب من الجوانب التي شكلت شخصية الإنسان لذلك جهد الغزالي نفسه لأن تجمع رسالته التربوية بين ميادين مختلفة قد ساهمت في تشكيل شخصية الانسان من تأديب للنفس وتنمية للجسم وتصفية للروح وتثقيف للعقل، وهذا ما جعل الغزالي يعتني بكافة الميادين والمجالات التربوية العقلية والنفسية والجسميّة وحتى الأخلاقية والاجتماعية لبلوغ الهدف الأساسيّ الذي رسمه الغزالي من خلال رسالته التربويّة، لذلك كان من الضروريّ التركيز على أهمّ الميادين التي ركز عليها الغزالي في تحقيق هذه الرسالة وهي كالآتي:

**1-التربية النفسيّة:**

لقد اتهم الغزاليّ بتقليده لفلاسفة اليونان في نظرته إلى النفس وخاصة مع أفلاطون في موضوع خلود النفس ومع أرسطو في وحدة النفس، لكن هذا لا ينفي حقيقة أن الغزالي كما رأينا سابقا أنه حاول الاستفادة من آراء من سبقوه ولكن بما يتفق مع عقيدته.

ولقد سبق الحديث عن ألفاظ النفس والعقل والروح والقلب، ورأينا كيف أنه يستعمل هذه الألفاظ أحيانا وكأنها مترادفات وأحيانا أخرى يميّز بين لفظ وآخر.

والغزالي من خلال تمييزه بين ثلاثة أنواع من النّفوس يُظهر دور الإنسان في إقامة موازين العدل بتربية النفس وكبح شهواتها وإقامتها على الطّريق الصّواب لأنه يرى أنّ النفس إذا أذعنت لمقتضى الشهوات ودواعي الشّيطان، سمّيت النفس الأمارة بالسّوء، وإذا لم يتم

سكونها وصارت مدافعة للنفس الشهوانيّة سميت النفس اللوامة، وإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة.[1]

فمن خلال هذا نجد الغزالي في دعوة صريحة إلى ضرورة ضبط النفس وتربيتها وتهذيبها لتبلغ درجة النفس المطمئنة لأنّ النفس تولد ناقصة ولكنها قابلة للكمال بالتربية والأخلاق والتغذية بالعلم، يقول الغزالي:"...**فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم**".[2]

الغزالي أراد من خلال منهج معتدل في تربية النفس أن يعمل على تربية هذه النفس لدى الطفل منذ نعومة أظافره بوضع منهاج وطريق تسير فيه النفس الإنسانية فلا يكبت رغباتها، فيقتل حيواتها ويبدد طاقتها نهائيا، وفي الوقت ذاته لا يطلق العنان لشهوات النفس ورغباتها بدون ضابط، يقول الغزال:" ...**فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعه من الحرام، فإن لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته...، فكذلك تؤدب النّفس...، وتأديبها بأن تمنع من النظر والأنس والفرح بنعيم الدنيا**".[3] بمعنى أن نأخذ من الدنيا لرغباتنا كلّ ما هو ضروري فقط.

وبما أنّ النفس هي إحدى قوى الإنسان أراد الغزالي ان يتعامل معها على هذا الأساس حتى يتمكن الإنسان لأن يكون عبدا صالحا وفاعلا في الحياة من خلال إنشاء قوة داخلية لدى الفرد تساعده على ضبط كافة النزعات والشهوات وتنمية الصفات الفاضلة والجميلة لديه لتكون عاملا في بناء شخصيّة متكاملة ومتوازنة ومتماسكة.

**2-التربية الجسمية:**

يوليها الغزالي أهمية كبيرة لما لها من أثر بالغ في تكوين شخصية الطفل ويقصد بها الرعاية التي يتلقاها الولد من طرف والديه أو المسؤولون عن تربيته لأن الجسم حسب الغزالي هو الأداة التي عن طريقها تترجم الذات الإنسانية أعمال التي تقوم بها.

---

[1]- أنظر معارج القدس في مدارج معرفة النفس، تحقيق أحمد بن شعبان بن يحيا الأندلسي، ص 15-18.

[2]- الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج3، ص 79.

[3]- نفسه، ص 89.

ونجد الغزالي في دعوة صريحة للعناية بالتربية الجسدية انسجاما مع فطرة الإنسان في حدود طاقته وواقع حياته المادية وتقوم هذه التربية على ضرورة احترام كلّ طاقة من طاقات الجسم لطالما تقوم بالمهمة التي فطرت عليها، يقول الغزالي:" **اعلم أنّ كلّ عضوّ من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به**".[1] فلكي يستطيع الإنسان أن يرقى بطاقته كلها ويوفرها لأداء رسالته في هذا الوجود يجب تربية كلّ عضوّ حسب الوظيفة التي وجد من أجلها.

وأولى الأشياء التي تبدأ بها تربية الطفل الجسمانيّة حسب الغزالي هي العناية بالغذاء الكافي، يقول:" ... **وإنما يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء**".[2] لأن جسم الطفل يولد ناقصا ويكمّل بالغذاء فالغذاء ضروريّ، كما أنّ قوّة البنية الجسمية التي يكتسبها الطفل من خلال الغداء الجيّد تبعث فيه الاعتزاز وقوّة الإرادة.

ويرى الغزالي أنّ أول ما يغلب على الصبيّ هو شهوة الطعام، لذلك يجب أن نؤدب فيه هذه الشهوة، يقول:" **وأول ما يغلب عليه من الصفات، شره الطعام فينبغي أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه، وأن يقول عليه بسم الله عند أخذ هو أن يأكل مما يليه**".[3] ويواصل الغزاليّ قوله في تأديب شهوة الطعام لدى الطفل:"... **وألا يبادر إلى الطعام قبل غيره وألا يسرع في الأكل، وأن يجيد المضغ، وأن يعوّد الخبز الفقار في بعض الأوقات...، وأن يقبّح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كلّ من يكثر الأكل بالبهائم**".[4] وهذا كلّه لتعويد الطفل القناعة وترك الجشع والاكتفاء بالطعام الصحيّ الضروري للحياة دون الاكثار من الطعام لأنّ البطنة تذهب الفطنة، كذلك لتجنيب الطّفل من مخاطر مضغ الطّعام جيّدا لما قد يسبب للطفل من أمراض قد تصيب الجهاز الهضميّ مما يلحق الضرر بصحته ويعيقه على القيام بواجباته.

[1]- الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق السيد عمران، ج3، ص 82.
[2]- نفسه، ص 07.
[3]- نفسه، ص 94.
[4]- نفسه، ص 94.

وثاني الأشياء هو تعويد الطفل على الخشونة في الملبس والمفرش والمطعم، لأن النعم لا تدوم وأن تعويد الطفل على الرفاهية والتنعم قد تؤدي به إلى الهلاك، يقول الغزالي:"... **ولا يعوّده التنعّم ولا يحبّب إليه الزينة والرفاهيّة، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد...وينبغي أن يمنع من النوم نهارا فإنه يورث الكسل...، ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضائه ولا يسمن بدنه فلا يصبر على التنعم بل يعوّد الخشونة في المفرش والملبس والمطعم**".[1] فما دامت النعم لا تدوم يجب أن نعد الطفل لمواجهة الحياة في كلا الحالتين سواء الغنى أو الفقر، لأن الحياة قد تعطينا مرة وتحرمنا مرّات عديدة ولكي نعدّ الناشئ للحياة بما تحمله من متاعب ومشاق ومصاعب ومشكلات لا يمكن تجنبها إلا بمواجهتها.

وثالث الأشياء هو الممارسة الرياضيّة أو العناية بالرياضة البدنيّة لما لها من فوائد على صعيد التربية الجسميّة لأنّ الجسم السليم في العقل السليم، فالرياضة تنشط العضلات وتقوّي الجسم، كما تنمّي فيه الإرادة والاعتماد على نفسه والقدرة على تحمّل المشاق وتجاوز الكسل والخمول، يقول الغزالي:"... **ويعوّد في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل**".[2] لقد ثبت في علم النفس الحديث أن هناك صلة كبيرة بين الجسم والعقل فما يؤثر في الجسم يؤثر في العقل، فلكي يستطيع الإنسان القيام بأعباء الحياة يجب أن يكون قويا في جسمه، سليما في بدنه.[3] فمتى قويّ الجسم استطاع أن يؤدي وظيفته على أكمل وجهٍ ومن خلاله يكون الطفل قويّ الإرادة والعزيمة.

رابع الأشياء هو مزاولة العمل، وهذا ما ألحّ عليه الغزالي بكثرة من خلال ضرورة تعويد الطفل على العمل، لما له من نتائج إيجابية في المستقبل، لأنّ العمل يعوّد الطفل تحمل المسؤولية دون الاعتماد على غيره، فجاءت نصيحة الغزالي إلى طلبته في رسالته " أيها الولد"

[1]- الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج3، ص 94-95.

[2]- نفسه، ص 95.

[3]- أنظر محمد عطيّة الإبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها، ص 269.

قائلا:" **أيها الولد لا تكن من الأعمال مفلسا ولا من الأحوال خاليا**".[1] وفي مطلق الأحوال لا بدّ من توفر الصحة الجسميّة حتى يقوم الإنسان بواجباته لأنه كما يقول الغزالي:" **فلو أنك قرأت مئة سنة، وجمعت ألف كتاب، لا تكون مستعدا لرحمة الله تعالى إلا بالعمل**".[2] إذن العمل ضروريّ لاستمرار الحياة، وكذلك للتزود من الدنيا للآخرة.

**3-التربية العقلية:**

لقد رأينا من قبل في نظرية المعرفة عند الغزاليّ أن العقل قاصر ولا يستطيع أن يصل إلى المعرفة بمفرده، ولكن يمكن تربيته وتنميته، كما ينمى ويربى الجسم ولكن تربية العقل حسب الغزالي لا تكون بالغذاء فقط، كما قلنا من قبل بل بالتفكير لأنّ العقل هو الميزة الجوهرية في الإنسان على باقي المخلوقات الأخرى وهو الذي لديه الاستعداد لقبول العلوم النظرية والفكرية، يقول الغزالي:" **إنّ العقل اسم يطلق...، فأول الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية**".[3] إذن فالعقل هو الغزيرة التي يتهيأ بها الإنسان لإدراك العلوم النظرية والغزالي من خلال هذا يدعو لإعمال العقل والتدبر في ملكوت السماوات والأرض والإنسان مصداقا لقوله تعالى:﴿**إِنَّ فِي خَلقِ السّمَاوات وَالأرض واختِلافِ اللَّيلِ وَالنَّهَار لآيَاتٍ لأولي الألبَاب**﴾.[4]

لذلك وضع الغزالي كتاب "الحكمة في مخلوقات الله عزّ وجلّ " لكي يكون أداة تربوية فعّالة تقوم على التفكير في خلق الله بهدف توجيه العقل البشريّ إلى ما يجب أن يتجه إليه فاستهل كتابه بقوله:" **الحمد لله الذي جعل نعمته في رياض جنان المقربين، وخصّ**

[1]- الغزالي: أيها الولد، تحقيق جميل إبراهيم حبيب، ص 21.
[2]- نفسه، ص 21.
[3]- الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج1، ص 115.
[4]- سورة آل عمران، الآية: 190.

**بهذه الفضيلة من عباده المتفكّرين، وجعل التفكير في مصنوعاته وسيلة لرسوخ اليقين في قلوب عباده المستبصرين**".[1]

والغزالي إنما يسعى من خلال هذا إلى تحديد مجال النظر العقليّ حتى يحول دون تبدد الطاقة العقلية في مجالات لا تنفع الإنسان، بل يجب تسخير هذه الطاقة وتوجيهها لخدمة الإنسان.

كما يحيلنا الغزاليّ إلى فكرة مفادها أن العقل هو الرّكيزة الأساسيّة في الإنسان، ذلك أنّ جميع أعضاء الجسم تخضع لأوامره وتدابيره يقول:" **اعلم أنّ البدن كمدينة والعقل–أعني المدرك– من الإنسان كملك مدبّر لها، وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده وأعوانه وأعضاؤه كرعيته**".[2] فإذا وجه العقل نحو الصواب استطاع أن يسيطر على البدن ويكسر شهواته فيجب تقوية غريزة العقل حتى يستطيع من خلالها الإنسان أن يسطر على باقي غرائزه الأخرى، يقول الغزالي:"... **في غريزة العقل فإنها إذا قويت كان قمعها للشّهوة لا محال أشدّ**".[3] وهذه التّقوية بالطّبع من خلال تربيّة العقل تربيّة تساعده على استخدام القدرات الذّهنيّة استخداما جيّدا وذكيّا، بحيث يصبح العقل يؤدّي غاية عمليّة أكثر منها نظريّة، وهذا هو الهدف من التّربية العقليّة، بحيث تبدأ هذه التّربية بالتّفكير وتنتهي بالعمل، العمل بمقتضى الدّستور "الحقّ" الذّي نزل به القرآن، وحين يقيس الإنسان هذا اللّون من التّوجيه للطّاقة العقليّة في تدبير حكمة الله وتسييره بالفلسفة قديمها وحديثها والمعضلات الذهنية يدرك في الحال عظمة المنهج الإلاهيّ في تربية العقل البشريّ ويعلم أنه سبحانه وتعالى خلق كلّ شيء بحقّ وجعله منهجا لإقامة الحق في الحياة.[4]

فالتفكير الذي يدعو إليه الغزاليّ هو تفكير هادف يؤدّي إلى ربط النظر العقليّ بالعمل، وهذا يحيلنا إلى ربط العلم بالعمل، من خلال ما جاء في قول الغزاليّ:" **العلم بلا**

---

[1]– الغزالي: الحكمة في مخلوقات الله، تحقيق محمد رشيد قباني، دار أحياء العلوم ، بيروت، (ب ط) 1978، ص 13.

[2]– الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج3، ص 09.

[3]– نفسه، ص 09.

[4]– أنظر محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، بيروت، (ب ط) 1988، ص 83-84.

**عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون**".[1] بمعنى أنه هناك علاقة تلازمية تكامليّة بين العلم والعمل، فالعلم إن لم يتحول إلى المجال العمليّ يصبح مجرّد عبث لا فائدة منه، وكذلك لا يمكن أن تقوم الأعمال بدون تأسيس علميّ لها، وهذا ما أكد عليه الغزاليّ في أكثر من موقع في أغلب مؤلفاته نظراً لضرورة تربية العقل تربية علميّة وعمليّة معا.

**4-التربية الأخلاقية:**

تمثل الأخلاق الإطار القيمي التي تحكم علاقات الناس داخل المجتمع وتأتي التربية لتضع هذه الأخلاق بكافة أشكالها، أهدافا تربوية تعمل على تحقيقها وتسعى إلى تشكيل خلق الإنسان وجعله مصدرا لسعادته وقبوله بين الناس ولأن الأخلاق المجرّدة لم تحدث تغييرا في السلوك، فإن التربية أكدت على الجانب السلوكي والعلميّ، واهتمت بتطوير أخلاق المهن المختلفة.

وهذا ما أكد عليه الغزاليّ حيث يقصد من التربية الخلقية تلك التربية التي تسعى إلى تكوين شخصية الإنسان لكي عضوا فعالا في مجتمعه مع إعطاء قيمة لذاته لذلك اهتم الغزالي بمسألة الأخلاق وبين أهميتها في توجيه السلوك، وبما أن الإنسان يسعى دائما إلى بلوغ الكمال الأخلاقي، فإنّ هذا يأتي من خلال التربية الخلقية، والتي تجعل الطفل يتصرّف وفق مبادئ بحسب أبعاد أخلاقية بحيث يتصرّف بشكل يتنافى مع كلّ ما هو مخالف للأخلاق وينمي فيه استعدادات خلقية.

وأول خطوة في التربية الخلقية، تكون بمحاربة الرذيلة في نفس الطفل وتزويده بفضائل الأخلاق الحميدة والجميلة، يقول الغزالي:" **مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها**".[2] وهذا من خلال تعليم الطفل أمهات الفضائل وفي نفس الوقت نبعده عن الرذائل.

والعلاج لنفسية الطفل يكون من خلال معيار الصبر لأن الرذيلة هي مرض القلب وعلاجها يحتاج من المربي المجاهدة والصبر، وتعويد الطفل كذلك على مجاهدة نفسه وتحميلها

[1]- الغزالي: أيها الولد، تحقيق جميل إبراهيم حبيب، ص 25.

[2]- الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج3، ص 79.

الأخلاق الحميدة والفاضلة، يقول الغزالي:" **فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداوة مرض القلب**".[1]

كما يجب على المربيّ التدرج في تزويد الطفل بالأخلاق وهذا من خلال مراعاة لسنه وحاله وقدراته ومزاجه، يقول الغزالي:" **فكذلك الشّيخ الذّي يطيب النفوس... ينبغي ألا يهجم عليه بالرياضة والتّكاليف في فنّ مخصوص وفي طريق مخصوص، ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم...، بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه، وما تحتمله بنيته من الرياضة**".[2] فعلى المربي أن يأخذ كل ما ذكرناه سابقا بعين الاعتبار لكي يتسنى له تربية الطفل تربية خلقية صحيحة، وسنأتي للتفصيل في هذا لاحقا.

والملاحظ أن الغزالي أعطى أهمية كبيرة للأخلاق لأنها تساير الإنسان في مأكله ومشربه ومنامه وحله وترحاله، وتلازمه في تصرفاته مع الأصدقاء والأهل والمجتمع، فالأخلاق عند الغزالي شريعة كاملة للحياة بأسرها.

**5-التربية الاجتماعية:**

لقد نظر الغزالي إلى الإنسان نظرة كلية من خلال نظرته للجماعة، لذلك أفرد في كتبه "الإحياء" موضوع أسماه الألفة والأخوة، فقد عرّف الألفة بأنها ثمرة حسن الخلق فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التحاسد والتباغض والتدابر.[3] فما دام الإنسان يعيش في جماعة لا بد أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة ليكون إنسانا اجتماعيا فكما قال ابن خلدون:" **الإنسان مدنيّ بالطّبع**".[4] هذا يعني أن الإنسان اجتماعه ضروريّ لذلك لا بدّ أن يربى تربية تجعله منه فردا اجتماعيا وهذا بغرس العادات الاجتماعيّة فيه.

ولأنّ اجتماع الإنسان ضروريّ لا محال منه، جاء قول الغزاليّ كالتّالي:" **وهو أنّ الصحبة تنقسم إلى ما يقع بالاتفاق، كالصحبة بسبب الجوار، أو بسبب الاجتماع**

[1]- الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج3، ص 80.

[2]- نفسه، ص 80.

[3]- أنظر الغزالي: إحياء علوم الدين، ج2، ص 198.

[4]- ابن خلدون: المقدّمة، تحقيق: أحمد جاد ، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 2007، ص 53.

**بالمكتب، أو في المدرسة أو في السوق، أو على باب السّلطان أو في الأسفار**".[1]

بمعنى أن الغزالي توصل إلى أن الإنسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر للاجتماع مع غيره، سواء كان هذا الغير صديق مقرّب أو جار أو صديق في العمل أو المدرسة أو في السوق، أو ما شابه ذلك.

وكون التربية عملية اجتماعية تشقّ أهدافها من المجتمع، فإن فلسفة التربية لا يمكن فهمها بمعزل عن فلسفة المجتمع لأن التربية تشكل نظام فكري نشأ في بيئة اجتماعية معينة وتفاعل مع مشكلات هذه البيئة لكي نستطيع أن نجد حلولا لهذه المشكلات، وهذا من خلال اكساب الناشئة أنماطا تساعدهم على التكييف مع الأشياء التي دخلت على مجتمعهم وكذلك تقوم بتوجيههم نحو أهدافهم التي يمكن لهم أن يحققوها داخل مجتمعاتهم.

فالغزالي تناول موضوع الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة في كتابه "الإحياء" لا لشيء إلا لتربية الإنسان المسلم على ضرورة إقامة علاقات تتسم بروح المحبة والتعاون والتفاهم من خلال التحليّ بالأخلاق الفاضلة والحسنة، والابتعاد عن الأخلاق السيئة التي تورث البغض والفرقة.

ولقد وضع الغزالي آداب خاصّة بالعبادات وأخرى بالمعاملات واعتبر أنّ تربية الطفل على مثل هذه الآداب يسهم إسهاما فعّالا في بناء شخصيته المتميّزة، ولن يتأت له تكوين اتجاهات اجتماعية التي تجعله يهتمّ بمصلحة مجتمعه إلا من خلال إحاطته بجوّ من المحبّة إضافة إلى توفير ظروف اجتماعيّة تشعره بالارتياح والرضا، إلى جانب تعويده على محبة الآخرين وتقديرهم واحترامهم، حيث يشكّل ذلك مناخا مناسبا لبناء المجتمع الإسلاميّ المنشود.[2]

إنّ ما يميّز التربية بالنّسبة للإمام الغزالي هو أنه اهتمّ بجميع الجوانب المشكلة لشخصيّة الإنسان النفسية والجسميّة والعقلية، بالإضافة إلى الأخلاقيّة والاجتماعيّة، وهذا لتكوين شخصيّة متكاملة متوازنة سويّة السّلوك.

[1]- الغزالي: إحياء علوم الدين، ج2، ص 203.

[2]- أنظر أيوب دخل الله: التربية الإسلاميّة عند الإمام الغزالي، ص 191.

**المبحث الثالث: طرق التربيّة عند الغزالي**

لقد عرفنا من قبل أنّ الغزالي انطلق من نظرة متكاملة للإنسان على أنه كيان متكامل له جسم وعقل ونفس وأخلاق يعيش داخل مجتمع، وكذلك عرفنا أنّ هذا الكيان يخضع لعمليات تربوية تقوم على تكوينه.

ولكن التربيّة التي تتشكل من كلّ هذه العمليات تبقى بحاجة إلى طرق توفرها العملية التربوية لكي تساعد المعلّم على التكوين الجيّد لشخصية المتعلم وتساعده كذلك على أداء رسالته التربوية بصورة أكثر فعالية.

فبعد الحديث عن مفهوم التربية وميادين التربية بات من الضروريّ التحدث عن طرق نجاح العمليّة التربوية وتأتي هذه الطرق مختلفة تبعا لاختلاف ميادين التربية، وسنأتي إلى ذكرها كما يلي:

**1-القدوة:**

للقدوة الحسنة والصالحة أهمية كبرى في تربية الفرد ونشأته على أساس سليم لا سيما في المراحل الأولى من حياته، لأن الطفل منذ ولاته يكتسب ألوان السلوك من خلال تقليده ومحاكته للآخرين.

وهذا يؤكد أهمية القدوة في سلوك الإنسان والعادات التي يكتسبها لهذا يجب أن يكون الأبوين في المنزل والمعلمون في المدارس خير نماذج في السلوك حتى يساعدوا الناشئ على تشرّب العادات السليمة منذ نعومة أظافرهم، فتكون سلوكاتهم محسوبة بدقة متناهية وحتى أقوالهم، فقد قال عمر ابن عتبة لمؤدب ولده:" **ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك فإن عيونهم معقودة بك، فالحسن عندهم ما تركت**".[1]

لذلك نبه الغزالي على دور القدوة الحسنة في التربية لا سيما في مرحلة الطفولة فالطفل يقتدي بمن يراهم قدوة له ويقلدهم في أعمالهم وسلوكهم، ولعلّ أفضل معيار يمكن للمربي الوقوف عليه حتى يكون قدوة حسنة لمن يقوم على تربيتهم هو موافقة قوله لفعله فمن

[1]- نقلا عن محمد منير مرسي: التربية الإسلامية، أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص 158.

وافقت أقواله أفعاله كان منسجما مع نفسه، ولاقت تعاليمه خير قبول لدى طلبته، يقول الغزالي:" **ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش على الطين، والظل من العود فكيف ينقش الطين بما لا نفس فيه**".[1] بمعنى يجب على المربي أن يبدأ بإصلاح نفسه قبل إصلاح طلبته، لأن أعينهم إليه ناظرة وآذانهم إليه صاغية، وبهذا شكلت القدوة الحسنة عاملا أساسيا لنجاح عملية التربية.

كما أشار الغزالي في أكثر من موقع إلى الحاجة الملحة للقدوة الحسنة في العملية التربوية على كافة الأصعدة والمستويات فالمتعلم يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به ليهديه إلى سواء السبيل، يقول الغزالي:" **فلا بد للسالك من شيخ يربيه ويرشده**".[2]

**2-التكرار:**

من المعروف أن الإنسان يحتاج إلى تكرار الأداء المطلوب لتعلم خبرة معيّنة حتى يتمكن من إيجادة هذه الخبرة، فالتكرار لا يقصد به ذلك التكرار الآليّ، ولكن التكرار الموجّه الذي يؤدي إلى النجاح بحيث ينمي الخبرة لدى المتعلم ويمكنه من أداء المطلوب بطريقة آلية وفي نفس الوقت سريعة ودقيقة.

وتظهر أهمية التكرار عند الغزاليّ من تخصيصه ربع كامل من كتاب "الإحياء" بعنوان" العادات" يتناول فيه آداب المعاملات الجارية بين الإنسان ونفسه، وبين نفسه وغيره مما يتعلّق بالأكل والشّرب والملبس والمسكن، والعلاقات المختلفة الأخرى، ويظهر من هذا أنه يرى كثيرا من فضائلنا ورذائلنا إنما هو مجرّد تكرار العادات ألفناها.

والغزالي يستخدم العادة كوسيلة من وسائل التربية، وذلك من خلال قابلية الإنسان للتعلم وخاصة تعلم الأخلاق الحسنة، فتتحول الأخلاق عن طريق التكرار إلى عادات تقوم بها النفس بغير جهد أو مقاومة، يقول الغزالي:" **وكذلك من أراد أن يصير سخيا عفيف النفس حليما متواضعا، فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفا حتى يصير ذلك طبعا**

[1]- الغزالي: كتاب العلم من إحياء علوم الدين، تحقيق رضوان السيد، ص 168.

[2]- الغزالي: أيها الولد، تحقيق جميل إبراهيم حبيب، ص 37.

**له**".[1] فمن أراد أن تكون له أخلاق حسنة وطيبة يجب أن يتعاطى أفعال الفضلاء ويكررها حتى تتأصل فيه.

فالعادة عند الغزالي تبدأ بتكلف الأفعال وتكرارها وتنتهي لتصبح طبعا في الإنسان من خلال التحسن المستمر في الأفعال التي يقوم بها الفرد حيث نجد في كلّ تمرين تقدما معينا ويستمر هذا التقدم إلى أن تُكوّن في الفرد تلقائيا وعفويا فيؤدى العمل بشكل آليّ وسريع.

وإذا كان علم النفس الحديث يعتبر عنصر التكرار عاملا أساسيا في بناء العادة لما يرافقه من إزالة الحركات الطائشة واكتساب الدقة، فإن الغزالي أعطى هذا العامل نفس الأهمية، سواء كانت العادات المكتسبة حركية أو عقلية أو خلقية لأن التكرار هو الذي يساعد الإنسان على أن يُصدر فعله بشكل آلي.[2]

**3-الممارسة والعمل:**

لقد أدرك الغزالي أهمية الممارسة العملية كطريقة من طرق التربية حيث ينبغي على المربي أن يهتم بتنمية السلوك العملي الرشيد وأن يدرك أن تلاميذه إنما يحسن تعليمهم إذا هم مارسوا ما تعلموه من خلال خبراتهم وتجربتهم المباشرة.

لأن الناشئ-الصغار- لا يمكن أن يتعلم ألوان السلوك الديني والاجتماعيّ إلا إذا مارسوها وأصبحت عادة لديهم، وهذا يعني أن لا يقتصر المعلم على المعرفة اللفظية وإنما يجب أن يتعدى ذلك ليربط بين الفكر والعمل والنظرية والتطبيق.[3] لذلك يقول الغزالي:" ... **فهكذا لو قرأ الرجل مئة ألف مسألة علمية علمها وتعلمها ولم يعمل بها لا تفيده إلا بالعمل**".[4] وهذا يؤكد على وظيفة العلم التي هيَ تغيير سلوك الإنسان إلى الأفضل والأحسن من خلال ترجمة العلم إلى عمل يتجسد في سلوك إنساني يكون بدوره ثمرة هذا العلم.

---

[1]- الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج3، ص 78.

[2]- أنظر عبد الكريم العثمان: الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ص 21-22.

[3]- محمد منير مرسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص 139.

[4]- الغزالي: أيها الولد، تحقيق جميل إبراهيم حبيب، ص 20-21.

**4-الثواب والعقاب:**

يعتبر أسلوب الثواب والعقاب من الأساليب الطبيعية التي تستند إليها التربية في كلّ زمان ومكان، فهذا الأسلوب يتماشى مع طبيعة الإنسان، لأن الإنسان يتحكم في سلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بالنتائج الضارة أو النافعة التي تترتب على عمله وسلوكه، والغزالي يستخدم أسلوب الثواب والعقاب ويحث عليه لما له من أهمية في عملية التّربيّة.

لكن الغزالي يقف الموقف الوسط بين الثواب والعقاب، فلا إفراط في القسوة ولا تفريط في المدح والشكر، حتى لا يفقد المديح قيمته وحتى لا ترتبط العملية التعليمية بمشاعر السخط والغضب لأن الغزالي يميز بين طرق تأديب الطفل، تبعا لاختلاف أمزجتهم فهذا الطفل يتميز بالحياء فيستعان على تأديبه بحيائه، وذاك أميل إلى الخلق الجميل، والفعل المحمود فيلزم أن يكرّم ويجازى عليه ويمدح بين النّاس.[1] يقول الغزالي:" **ثمّ مهما ظهر من الصبيّ خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه...، ولا نكثر القول عليه بالعتاب في كلّ حين، فإنه يهوّن عليه سماع الملامة وركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام من قلبه**".[2] وهذه خير نصيحة لكلّ مربي، فالغزالي ينهى عن الإكثار من العتاب لكي يكون للوم أثرا في نفسية الطفل، فلا يعاقب الولد على كلّ صغيرة وكبيرة، لكي لا يضطر إلى العناد والسير في الطريق المضاد.

كما أكد الغزالي على ضرورة مراعاة مشاعر المتعلم والتدرج في نصحه، والغزالي في هذا إنما يعبر عن مدى فهمه لنفسية الطفل، على نحو يمكننا القول معه بأنه فاق ما ذهب إليه علماء النفس التربوي في هذه الأيام، حيث أنه يبدأ بالثواب وإن ظهر من الصبيّ خلق مخالف فينبغي أن يتغافل عنه، ولا يهتك ستره، خصوصا إذا شعر به وحاول إخفائه، لأن معنى هذا أنه شعر بخطئه، ورغب ألا يطلع عليه الناس، فإذا عاد وكرر الخطأ مرّة أخرى ففي هذه الحالة ينبغي أن يعاقب سرا ويشدد عليه، لأن عقابه أمام الناس يهوّن عليه سماع الملامة

[1]- عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط5، 1984، ص 194.

[2]- الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج3، ص 95.

ويسقط هيبة المؤدب والمربي من قلبه، يقول الغزالي:" ... **فإن خالف ذلك في بعض الأحيان مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه، ولا يهتك ستره....، لا سيما إذا أسره الصبي واجتهد في إخفائه ...، فعند ذلك إن عاد ثانية فينبغي أن يعاقب سرّا ويعظم الأمر فيه**".[1]

وما يمكن قوله أن طريقة الثواب والعقاب بالنسبة للغزالي جاءت لتخدم هدفا تربويا سعى لتحقيقه من خلال إصلاح أحوال الناشئة وتهذيب أخلاقهم وإحداث التغيير المرغوب في سلوكهم.

**5-الحوار والمناقشة:**

من الأساليب التي تقوم عليها التربية عند الغزالي في توجيه الإنسان نحو الحقّ والخير أسلوب الحوار والمناقشة والإقناع والاقتناع، عن طريق العقل والمنطق وهذا لميزة الإنسان بالعقل، لأنه من خلال هذه الملكة يمكن أن يحاور غيره، ويمكن له أن يفهم ويتناقش مع غيره من بني البشر، لذلك تتضمن طريقة المحاورة والمناقشة في التربية بالنسبة للغزالي ضرورة تعريف الناشئ بالأساس العقلاني والمنطقي، لأيّ قضية مطروحة أمامهم، وألا يرددوا المعلومات دون فهم لمضمونها الحقيقي، كما يجب أن تتاح لهم الفرصة للمناقشة الجادة البناءة التي تحل أبعاد الموضوع المطروح في مناقشة، وتلقي الضوء على جوانبه المختلفة.

فقد اهتمّ الغزالي بأسلوب المناظرة والحوار، كما اهتمّ بعض المربين المسلمين كالزرنوجيّ إذ اعتبر أسلوب المناقشة والحوار هو الأسلوب المفضل والمجدي في التعليم، حيث يقول:" **إن قضاء ساعة واحدة في المناقشة والمناظرة أجدى على المتعلم من قضاء شهر بأكمله في الحفظ والتكرار**".[2]

ولقد كانت المساءلة من أهمّ الطرق التي استخدمها الغزالي في منهاجه التربويّ ومعلوم أن هذه الطريقة تقوم على الاستماع والفهم والإدراك، أي أنها تقوم على توظيف العقل من أجل إدراك الحقائق التي يدعو إليها وقد احتاط الغزالي من سوء استخدام أسلوب

[1]- الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج3، ص 95.

[2]- نقلا عن محمد منير مرسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص 137.

المناظرة والحوار، لذلك وضع له الشروط اللازمة للإبقاء على المناظرة ضمن إطار التعاون على طلب الحقّ.[1]

ولعلّ أنّ أسلوب الحوار والمناقشة قد يمكن الطفل من التمييز بين الحق والباطل ويمكنه من تجاوز التقليد الأعمى، والأفكار الضالة وهذا ما سعى لتحقيقه الغزاليّ.

**6-الموعظة والنصح:**

تلعب هذه الطريقة دورا هاما في مجال التربية لأنها تتطرق إلى النفس الإنسانية من مداخلها الحقيقة، خاصة في نفسية الطفل وتجعل الناصح في نظر المنصوح شخصا طيب النوايا، حريصا على المصلحة، ومن هذا يكون لكلامه قبول حسن.

ولأسلوب العضة والنصح مجال كبير للمعلمين في توجيه طلابهم إلى ما فيه خير لهم ولأن الإنسان مفطور على تقبل النصيحة، خاصة من محبيه وناصحيه، فالنصح والوعظ يصبح في هذه الحالة ذا تأثير بليغ في نفس المخاطب ولا سيما حينما يكون صادرا عن محبّة ومن القلب إلى القلب، فالنصح والوعظ من والد محبّ لأولاده أو أخ كبير أو صديق أو معلم أو شيخ محترم قد يغير مجرى حياة الإنسان.[2]

والتربية عند الغزالي تعتمد أساسا على الوعظ والنصح كطريقة تعليمية مستوحاة مما جاء في القرآن والسنة، وكذا تجربته في الحياة، حيث يعكس هذان المظهران نظاما تربويا رفيع المستوى في مجال النصح والوعظ، فالناظر مثلا إلى رسالته "أيها الولد" يجدها نصائح ومواعظ والناظر كذلك إلى كتابه" الإحياء" يجد أنه يقوم معظم عناصره على النصح والوعظ الهادف في شتى مجالات الحياة.

**7-القصص:**

إنّ القصّة تمثل صورة من الصور الفنية والجمالية، لكنها في نفس الوقت تعتبر طريقة يمكن من خلالها تحقيق أهداف تربوية من خلال توصيل المعلومات والحقائق للمتعلمين

[1]- أنظر الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج1، ص 62-65.

[2]- محمد فاضل الجمالي: نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلاميّ، الدار التونسية للنشر، تونس، (ب ط) 1972، ص 111.

بطريقة شيقة ولذيذة، يقول محمّد قطب:" **وأيا كان فسحر القصة قديم قدم البشرية... والإسلام يدرك هذا الميل الفطريّ إلى القصة ويدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب، فيستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقوية** ".[1]

ويرى الغزالي أيضا أن للقصص دورا هاما في غرس الفضائل في قلوب الأطفال، وفي دفعهم للتخلق بالأخلاق الحسنة، اللهمّ إن كانت هذه القصص إلى هذه الغاية وإلا فإنها تغرس بذور الفساد في نفوس الأطفال.

لذلك أكدّ على ضرورة أن يتعلم الطفل قصص وأخبار الصالحين، يقول:" **أن يتعلم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حبّ الصالحين ويحفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله...، فإن ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذرة الفساد**".[2] وقد أشبه في هذا الغزالي الفيلسوف اليوناني أفلاطون حين طرد الشعراء من جمهوريته، خاصة الشعر الذي يتغنى بالرذيلة والخشونة والتهوّر لأنه يبعث في النفس الشرّ والخداع وذلك أن محاكاة فعل الشرّ، محاكاة أدبية تؤثر في حياة الإنسان الذي يعمل على تقليد هذا الفعل، ومن هنا يتحول الفنان إلى معلّم، لذلك أكد أفلاطون على أنّ تكون الفنون المسموح فيها ذات نمط مناسب للأخلاق.

كما أن أفلاطون آمن كالغزالي بأهمية القصص في تهذيب نفوس الأطفال، إذا كانت القصص موجهة إلى غاية صحيحة، لذلك ميز أفلاطون بين الحقيقي من القصص والوهميّ منها، وذلك لأن القصص الوهميّ تنطوي إجمالا على مغزى حقيقي، والأطفال يصدقونها ببساطة عقولهم، لذا ينصح أفلاطون بتنقيح القصص من الشوائب التي تفسد الناشئ وتزرع في قلوبهم آراء تتنافى مع ما يجب أن يكونوا عليه، متى بلغوا الرشد، وهذا ما أكد عليه الغزاليّ، وبهذا يكون الغزاليّ قد نهج منهج أفلاطون في تحديده الطريقة التي يمكن من خلالها إفادة الأطفال بأسلوب القصص، فكلاهما يتفق على أنّ للقصص دور هامّ في تربية الأطفال بأسلوب شيّق وفعّال، ما دامت هذه القصص موجهة توجيها صحيحا.

[1]- محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ج1، دار الشروق، بيروت، ط12، 1988، ص 193.

[2]- الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج3، ص 94-95.

يتّضح مما سبق كيف أن الغزالي أدرك فعالية هذه الطرق والأساليب التي يمكن من خلالها أن يحقق المربيّ أهدافه التربوية، بطريقة جيدة وفعالة يمكن من خلالها أن يحرك المتعلم نحو الخير والطريق الصواب ويبعده عن الشر والفساد، وفي هذه دلالة على مدى أهمية هذه الطرق التي ذكرناها سالفا في تكوين شخصية إنسانية متكاملة من جميع الجوانب.

ولقد تبين لنا في نهاية هذا الفصل كيف أن الغزالي استطاع أن يحدد الأسس والمعالم التي تقوم عليها التربية، من خلال الضبط لمفهوم التربية عنده، وطرق التربية وكذلك تحديد الطريق التي يجب أن يسير فيها المعلم ليكون جيلا صالحا في موقع صحيح بعيدا عن الزلل والانحراف.

وهذا يحيلنا إلى أنّ الغزالي كان يهدف من وراء هذا إلى تحقيق أهداف وغايات تربوية جمّة ويعطي للتربية أبعادا دينية وأخرى أخلاقية، وهذا ما سأتطرق إليه في الفصل الأخير.

# الفصل الرّابع:

# أبعاد التربية عند الغزالي

## الفصل الرابع: أبعاد التربية عند الغزالي

تأتي إسهامات الغزاليّ لتؤكد أبعادا تربوية في تاريخ الفكر التربويّ بصفة عامة وتاريخ الفكر التربوي الإسلاميّ بصفة خاصّة، وذلك من خلال أهدافٍ وغايات سعى الغزالي لتحقيقها شملت جميع المستويات الروحيّة والعقليّة والفكريّة والاجتماعيّة والسياسيّة والأخلاقيّة والدينيّة لكي يؤدي رسالته بشكل صحيح في الحياة.

فنجد أن الغزالي في محاولته إصلاح الفساد كان دائما يرجع إلى الدين الإسلاميّ بحيث جعله محور أعماله، خاصّة في منهجه التربويّ، لذلك كان للغزاليّ موقف واضح من الدّين، ويظهر هذا جليّا في تنظيره للعمل التربويّ، وسأوضّح هذا الموقف بالتفصيل كما يلي:

### المبحث الأول: محوريّة الدين

بناء على ما سبق نجد أن الدين يشكلّ الأساس الذي انطلق منه الغزاليّ في التعبير عن فكره التربويّ وذلك لارتباط الدين بحياة الإنسان وفلسفة هذه الحياة، هذا يعني أنّ الغزاليّ أخذ من الدين الإسلاميّ لكي يحقق أهدافا وغايات تربوية، فلم يكن غريبا أن يعكس فكره التربويّ طبيعة الدين الإسلاميّ، مما يؤهله لكي يكون منهج في الحياة.

فالغزاليّ من خلال فهمه للإسلام سعى إلى تكوين شخصية إسلامية متميزة عن غيرها، فلا معنى أن يكون الإسلام دين دولة دون أن تكون نظم هذه الدولة منسجمة مع الإسلام، بما فيها النظام التربويّ فلا يمكن أن يحصر الدين في مجرد العبادات وهذا نبه إليه الغزاليّ، لأنّ الدين يجب أن يكون له وجود شرعيّ في الحياة ليعالج مشاكل الناس ونظرا لهذا يجب قبل أن نختم دراستنا أن نبين كيف كان فهم الغزاليّ للدين، وما هو الدور الذي لعبه الدين في مجال التربية؟.

**1-فهم الغزالي للدين الإسلامي:**

لقد كان الغزاليّ مفكّرا عاملا ومنظرا معا لذا كانت حياته خلاصة عملية ونظرية لموقفه الديني والفلسفيّ، ووجه المسلمين من خلالها إلى ضرورة النظر من جديد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلّم، لأنهما الشرع الأول الصافي للإسلام.[1]

لذلك حارب الغزالي كلّ مظاهر التقليد والتحجر، ودعا إلى الانطلاقة العقلانية المقرونة بهدى تلك الروحانية الصوفيّة النابضة بالحياة فاستطاع بقوة تفكيره أن يرفع الإيمان من حضيض السذاجة إلى قوة التفكير العالي، مما جعل المفكرين في الشرق والغرب يرون فيه المثل الأعلى للتفكير الإلهيّ، حيث قال فيه سارتون:" **إنّ أثر الغزاليّ في العلم الإلهيّ أعظم من أثر القديس توما**".[2] لكن هناك من حمّل الغزالي مسؤوليّة هدم التفكير الحرّ على حساب الدين، فالغزاليّ هو الذي هدم صرح الفلسفة، ولكن ما عسانا أن نقول هنا، إلا أنّ الغزالي هاجم حقا الفلسفة، لكنها لم تمت وأكبر دليل ظهور كبار الفلاسفة من بعده أمثال ابن ماجه، وابن طفيل، وابن رشد، يقول دي يور الهولنديّ:" **كثيرا ما يقال أن الغزالي قضى على الفلسفة في الشرق، ولم تقم لها بعده قائمة، ولكن هذا زعم خاطئ لا يدلّ على علم بالتاريخ ولا فهم لحقائق الأمور، فلقد بلغ عدد أساتذة الفلسفة وطلبها بعد عصر الغزاليّ مئات بل ألوف**".[3]

ولأنّ الغزالي لم يهاجم الفلسفة من حيث هي تفكير عقليّ حرّ، تبحث عن حقائق الأشياء، إنما هاجم الفلسفة الميتافيزيقية اليونانية التي لا تمتّ بأيّ صلة بالإسلام والذي فعله الغزاليّ هو نقض العبودية الفكرية لهذه الفلسفة، غير أنه لم يكن كما ادّعى بعض المتطرفين ضد العقل والتفكير، لأنه استثنى كما فصلنا من قبل العلوم الأخرى كالرياضيات والطبيعيات والسياسات، إنما هاجم الفلسفة الميتافيزيقية التي يعجز العقل أن يقول فيها كلمته الفاصلة

[1]- عبد الحميد خطاب: الغزالي بين الدين والفلسفة، ص 406.

[2]- نقلا عن قدري حافظ طوقان: مقام العقل عند العرب، دار القدس، بيروت، (ب ط) (ب ت)، ص 161.

[3]- نقلا عن محمد عبد الهادي أبو زيد: تاريخ الفلسفة في الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، ط5، (ب ت)، ص 357.

وأكبر دليل على تمجيد الغزالي للعقل والتفكير هو مواجهته الفلسفة بفلسفة أخرى حتى قال عنه يوسف القرضاويّ: " **وهو في نقضه للفلسفة، فيلسوف أكبر**".[1] فالغزالي هاجم الفلسفة التي لا تنهض بانتشارها دنيا ولا يستقيم عليها دين.

بالإضافة إلى أنّ انتصار الغزاليّ للدين الإسلاميّ لا يعني أنه أصبح خصما للعقل وأدار ظهره للتفكير الحرّ، بل العكس من ذلك فقد فصلنا من قبل كيف أن الغزاليّ اهتمّ بالعقل من خلال إعلانه أن الشكّ هو أوّل مرشد لليقين، وهو القائل:" **من لم يشكّ لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقيّ في العمى والضلال**".[2]

فالغزاليّ إن دعا إلى الكتاب والسنة لم يَدْعُ إلى إهمال شؤون الدنيا كما يدّعي البعض، من زراعة وصناعة وطبّ وغيرها، بل نجده يعتبر ذلك من فروض الكفاية على الأمة في مجموعتها كما ذكرنا سالفا، كما أنّ المسلمين لا يتقدمون إذا أصبحوا أرسطين أو أفلاطونيين، وإنما يتقدمون وينتصرون إذا أصبحوا محمدين قرآنيين، يوقنون أن طلب العلم والتعليم فريضة واتّقان العمل عبادة وأن عمارة الأرض جهاد على حسب تعبير الغزاليّ.

وما يميز الغزاليّ هو أنه مفكّر عاش آرائه بصدق وإخلاص، فلم يكن ثمّة فجوة بينما كان يعتمد وما كان يسلك، فآرائه صورة لحياته لذلك أمضى حياته مدافعا عن موقفه اتجاه الدّين، فنقد بشدة الاتجاهات الخاطئة في فهمها للدّين، لأنه كان ينظر للدين بأسلوب خاص نابض بالحياة، ليتحقق فيه ارتباط الظاهر بالباطن سواء كان في المعرفة أو العبادة أو المعاملات.[3] وهذه الازدواجية بين الظاهر والباطن هي بأهميّة بمكان، في موقف الغزاليّ الدينيّ لأننا كما لاحظنا من قبل أن الغزاليّ، سيطر عليه في فهمه الإسلاميّ فكرتين، فكرة ركز فيها على الجانب الدنيوي الذي يهتم بالإنسان، وفكرة ركز فيها على الجانب الأخرويّ الذي يهتم بالإنسان في ضوء مصيره البعيد، وهذا ما جعل الناس أكثر استعداد للاقتناع بعمله وتعاليمه لأنه جمع بين الدين والدنيا، ولأن تعالمه نابعة من تجربته في الحياة، لم يكتفِ

[1]- يوسف القرضاويّ: الغزالي بين مادحيه وناقديه، ص 177.

[2]- نقلا عن محمود حمدي زقزوق: المنهج الفلسفيّ بين الغزالي وديكارت، ص 70.

[3]- أنظر عبد الحميد خطاب: الغزالي بين الدين والفلسفة، ص 400.

فيها الغزالي بالجانب النظري من أقوال فقط، بل ربط تعاليم الإسلام بأفعاله، فقضى حياته كلها بين العلم والتعليم، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدلّ على فهمه الصحيح في الدّين.

فالدين عند الغزالي لم يصبح مجرّد طقوس ومظاهر خارجة إنما تحوّل إلى منهج في الحياة، وخاصة في مجال التربيّة، فأصبح الوسيلة التي من خلالها يمكن إنشاء جيل واع سويّ في سلوكه متزن الشّخصيّة.

**2-علاقة الدين بالتربيّة:**

إذا كان الغزالي قد دعا إلى نبذ التقليد فذلك ناتج عن دعوته الصريحة إلى الرجوع للنبع الصافي والمصدر الأصيل، إنه-الإسلام- ونجد أن دعوة الغزالي للالتزام بتعاليم الإسلام لم تقتصر على مجال واحد، بل شملت جميع المجالات في دعوة كررها في كلّ بحوثه وكتبه ولأن المجال لا يتسع لذكر كلّ هذا سأقتصر على المجال التربويّ الذي ركز فيه الغزاليّ على الدين وجعله محورا له، ويبدو لنا هذا الموقف واضحا إذا لاحظنا الأمور التّاليّة:

-إنّ الغزاليّ عندما توجه إليه أحد طلبته بطلب النصح منه لم يلبث أن قال له:" **اعلم أيها الولد العزيز...، أن منشور النصيحة يكتب من معدن الرسالة صلى الله عليه وسلم فإن كان قد بلغك منه نصيحة، فأيّ حاجة لك بنصيحتي**".[1] بمعنى أن الغزاليّ يقدّم نصح النبيّ صلى الله عليه وسلّم على نصحه، لأنّ نصحه لا يساوي شيء مع معدن نصح النبيّ صلى الله عليه وسلم، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدلّ على قيمة الإسلام في نظر الغزاليّ.

-وقال في رسالته أيها الولد:" **اعلم أنّ الطاعة والعبادة متابعة للشرع في الأوامر والنواهي بالقول والفعل**".[2] فالغزاليّ كان دائم التركيز على ضرورة نصح طلبته باتباع تعاليم الدين الإسلاميّ، سواء في العبادات أو المعاملات، وهذا هو عين الصّواب، يقول الغزاليّ:" **فينبغي لك أن يكون قولك وفعلك موافق للشرع، إذ العلم والعمل بلا الاقتداء بالشرع**

[1]- الغزالي: أيها الولد، تحقيق جميل ابراهيم حبيب، ص 18.

[2]- نفسه، ص 29.

**ضلالة**".[1] فلا معنى ولا قيمة للعلم والعمل إذا لم يقيدا بضوابط شرعيّة نابعة من القرآن والسنة الشريفة، فيجب أن تكون أقوال الإنسان وأفعاله موزونة بميزان الشرع وهذا ما نصح به الغزاليّ.

–دعوة الغزاليّ الملحة إلى جعل الناس يفهون معنى الإحسان بأن تعبد الله كأنك تراه، وإن لم تكن تراه فإنه يراك، لأن الله مطلع على الإنسان في كلّ حال، وعندما يكون المرء على مثل هذا الوعيّ فإن ذلك لا بدّ وأن يوجهه في طريق النموّ والارتقاء في أقواله وأفعاله، سرّها وجهرها وهذا ما ظهر في كتب الغزالي في أكثر من موضع، خاصة في " الإحياء" حيث أفرد باب سماه بالمراقبة والمحاسبة، وتعني عنده:" **حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب**".[2] بالإضافة إلى شعور الإنسان بالمسؤولية والواجب والأمانة التي خلق من أجلها.

–توجيه العقل الإنسانيّ ليتدبر في إبداع الله في الكون، ولعلّ سبب عناية الغزالي بهذا الموضوع هو أن الإنسان لكثرة ما يألف من مشاهد ومظاهر الكون فإنه يصبح لديه هذا الأمر أمرا عاديا لا يثير الشعور بعظمة الخالق، فلقد كان للغزاليّ فضل كبير في إعادة توجيه نظر الإنسان لهذا الموضوع، ذلك من خلال ما جاء في كتابه "الحكمة في مخلوقات الله" والذي كانت أبحاثه دعوة إلى التفكير والاعتبار بما أودعه الله من العجائب في مصنوعاته.[3] ولا شكّ أنّ هذا التفكير يجعل الإنسان يشعر بقدرة الخالق، فيحسن في سلوكياته وفقا لما أمره به الله، وتكون أفعاله موافقة لما جاء في القانون الإلهيّ الذي وضعه له، فيكون قلبه دائما معلقا بالله بصورة واعية.

–دراسة الغزاليّ للفقه والعبادات بطريقة جيدة وبأسلوب يتحقق فيه ارتباط الظاهر بالباطن في كلّ شأن، سواء في علاقة الإنسان بنفسه أو بغيره، أو بربه وهذا ما جاء في كتاب

[1]– الغزالي: أيها الولد، تحقيق جميل ابراهيم حبيب ، ص 30.

[2]– الغزاليّ: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج5، ص 48.

[3]– أنظر الغزاليّ: الحكمة في مخلوقات الله، تحقيق محمد رشيد قباني، ص 05.

"العبادات" من كتاب الإحياء، فقد عرض فيه بين باطن العبادة وظاهرها، الظاهر الذي يتمظهر في نظافة الأعضاء الخارجة، والباطن الذي يتحقق في النية والإخلاص والصدق وتطهير النفس من الأخلاق الذّميمة.[1]

ويتبين لنا من هذا أن الغزالي يريد من العبادة أن تتوجه إلى تغيير سلوك الإنسان لا في المظهر فقط، بل في باطنه أيضا حتى يكون الإنسان سويّ السلوك، وبذلك أعطى لمفهوم العبادة بعد تربويّ يسعى فيه الإنسان من خلال العبادة إلى تربية نفسه على الطهارة الداخلية قبل الخارجية لجسمه.

–حثّ الغزاليّ على دراسة نفس الإنسان، لأن معرفة الإنسان نفسه تؤدي إلى معرفة الله وبالتالي هي بداية كلّ إصلاح، وليس المقصود هو معرفة الله فقط، بل إن الهدف الأساسي هو إصلاح هذه النفس، وبالتالي يستطيع من خلالها الإنسان أن يعدل في سلوكه وأخلاقه ومن أجل ذلك خصّ الغزاليّ كتابه تحت عنوان" معارج القدس في مدارج معرفة النفس".[2]

يظهر لنا من خلال هذه النقاط كيف أن الغزالي ربط الدين بالإنسان وجعله محور تغيير سلوكه نحو الأفضل، فجعل الفهم الواعي للدين هو المحرّك الأساسيّ لتغيير سلوك الإنسان والارتقاء به، وهو الذي يحقق تكامل شخصية الإنسان ووحدتها وهكذا فالدين عند الغزاليّ غدا منهجا في الحياة وليس مجرد طقوس ومظاهر خارجية، وبالتالي أعطى الغزالي للدين بعدا تربويّ في حياة الإنسان، فالدين عامل أساسيّ في انسجام شخصية الإنسان وتكامله.

**المبحث الثاني: الأخلاق والقيّم**

إذا كانت التربية الإسلامية تمتاز بوجه عام بطابعها الخلقيّ الذي يظهر جليا في أهدافها وغاياتها، فإن هذه السمة من أهمّ ما ميّز الفكر التربوي عند الغزالي، إذ ركز على الجانب الخلقيّ في تعليم الأولاد وتربيتهم من خلال تأكيده على ضرورة تربية الأخلاق لدى

[1]– أنظر الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران ، ج1، ص 168.

[2]– أنظر الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، تحقيق أحمد بن شعبان ابن يحيا الأندلسيّ، ص 76.

الناشئة، وهذا ما سأوضحه انطلاقا من الحديث عن دور التربية في تغيير الأخلاق، لأنها تعكس لنا بوضوح رأي الغزالي، كفيلسوف ومربي وتعكس لنا كذلك البعد الأخلاقيّ للتربية كما تعكس علاقة الأخلاق بالتربية التي هي في جوهرها عملية أخلاقية لأن النمو الأخلاقيّ هو الغاية القصوى من عملية التربية، لكن قبل هذا يجب أن نلقي نظرة سريعة على مفهوم الأخلاق عند الغزاليّ.

**1-مفهوم الأخلاق:**

إن الأخلاق عند الغزالي تقوم على روح إسلامية صوفية، وإن كان قد اقتبس واستفاد من مختلف الدراسات الفلسفية في هذا الموضوع، وخاصة ما كتبه اليونان لأنه قد عرف العرب فيما عرفوا عن اليونان، كتابا لأرسطو في الأخلاق، ووضع ابن مسكويه كتابا في صناعة تهذيب الأخلاق.[1] وقد اتهم الغزاليّ بأنه كان مجرد ناقل عن سابقيه وقالوا أنه اتبع أفلاطون في آرائه وعرضها دون ذكر مواضعها وألح بعض المستشرقين على أن الغزاليّ انتحل الكثير من الأخلاق المسيحيّة، وأكبر دليل عندهم، على ذلك أنه نصح بالزهد والتقشف وسلك مسلك الناسكين.[2] وفي هذا الشأن وجه له محمد يوسف موسى نقدا عنيفا بقوله: " **فتراه بعد أن فصل القول في مذهبه الأخلاقيّ، والفلسفة التي يقوم عليها والمصادر التي استقى منها، وبيّن رأيه في الفضيلة والسعادة والطريق إليها وانتهائه إلى تفضيل حياة الزهد والخمول والجوع وترك السعيّ**".[3] والحقيقة أن الغزالي استفاد من المصادر اليونانية والمسيحية وهذا لا ننكره إلا أنه يمتاز على من سبقه بطريقته الخاصة في حلّ ما تركوه غامضا وتفصيل ما أجملوا، بالإضافة إلى بعض الأمور التي لم يتعرضوا إليها، حيث جعل الأخلاق فرعا من فروع التربية، وهذا ما سأوضحه.

لقد أطلق الغزالي على علم الأخلاق أسماء متعددة مثل علم طريق الآخرة، وعلم صفات الأخلاق وأسرار معاملات الدين، وأخلاق الأبرار ويقصد به تكييف النفس إلى ما

[1]- أنظر زكيّ مبارك: الأخلاق عند الغزاليّ، ص 130.

[2]- عبد الكريم العثمان: الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ص 373.

[3]- يوسف القرضاوي: الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه، ص 160.

رسمته البشرية وخططه رجال المكاشفة من علماء الإسلام ومن سبقهم من الأنبياء والصدقين.[1] وتكييف النفس بمعنى تربيتها على المنهج الذي رسمته الشريعة الإسلاميّة وهنا يبرز دور التربية جليّا في تزويد النفس بالأخلاق الحسنة، وبهذا نجد أن الغزالي يفهم من علم الأخلاق شرح طرائق السلوك وفقا لتعاليم الدين الإسلاميّ، فقد ذهب إلى أن الأخلاق الإنسانيّة قابلة للتغيير والتعديل بالتربية، فكيف ذلك؟.

**2-التربية وتغيير الأخلاق:**

لقد آمن الغزالي كما قلنا بفكرة أن أخلاق الإنسان قابلة للتغيير من خلال نظرته كما أشرنا سالفا إلى الطبيعة الإنسانية فهو يراها ناقصة، قابلة للخير والشرّ معا، لذلك يجب تكميلها بالتربية عن طريق إكسابها الأخلاق الحسنة، من خلال المجاهدة والرياضة وحمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب، يقول الغزالي:" **اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة وأنى به حمل النفس على الأعمال التي يقتضها الخلق المطلوب...، وجميع الأخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق**".[2] ويقول موضحا هذا في موضع آخر من كتابه " ميزان عمل" بقوله:" **اعلم أنّ المقصود من المجاهدة والرياضة بالأعمال الصالحة تكميل النفس وتزكيتها وتصفيتها لتهذيب أخلاقها**".[3] بمعنى علاج النفس البشريّة يكون بمحو الرذائل عنها وجلب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها عن طريق التربية والتعليم، يقول الغزالي:" ... **فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتربية، وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم**".[4]

وحديث الغزالي عن تغيير الأخلاق جاء كردّ منه، على الجبريين من زعموا أن الأخلاق لا يمكن تغييرها أو تعديلها لأن الطباع لا تتغير، فردّ عليهم الغزالي قائلا:" **فنقول**

[1]- زكيّ مبارك: المرجع السابق، ص 130.
[2]- الغزاليّ: إحياء علوم الدين تحقيق سيد عمران، ج3، ص 76.
[3]- الغزالي: ميزان العمل، ص 42.
[4]- المرجع السابق، ص 79.

**لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير، لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات**".[1] بمعنى أن الغزاليّ واجههم بحجة قويّة لأنّ الجبرية هنا ألغوا نهائيا دور التربيّة، وهذا غير صحيح لأنه حقا كما قال الغزالي لو لم تكن الأخلاق لا تقبل التغيير والتعديل، لما كان هناك مربين ومعلمين وحتى رسل وأنبياء يعلمون الناس مكارم الأخلاق، وهذا إن دل على شيء، إنما يدلّ على تركيز الغزاليّ على الدور الهامّ للتربية في الارتقاء بالإنسان وأخلاقه.

فلو كانت طباع البشر لا تتغير لأصبح الأستاذ عديم الجدوى، بل لأصبحت التربية غير ذات شأن.[2] لهذا أعطى الغزالي مكانة كبيرة للمربيّ ودوره الفعال في تغيير الأخلاق السيئة إلى الأخلاق الحسنة، كما جاء سابقا في تعريفه للتربية، حيث شبه دور المعلم بدور الفلاح الذي يقتلع الشوك والحشائش الغريبة من بين زرعه، ليخرج زرعا حسنا كاملاً وبهذا قد ربط الغزالي ربطا محكما بين التربية والأخلاق، وهذا ما أفرزته بعض الدراسات الحديثة من طرف بعض الفلاسفة المحدثين أمثال جون ديويّ الذي يرى أن التربية في جوهرها عملية أخلاقيّة، وفي ذلك يقول:" **إن عملية التربية والعمليّة الأخلاقيّة شيء واحد ما دامت الثانية لا تخرج عن أنها انتقال الخبرة باستمرار من أمر سيء إلى أحسن منه وأفضل**".[3] وقبل جون ديوي ذهب جون لوك إلى أن هدف التربية هو غرس الفضيلة في النفوس.

كلّ هذا يوضح لنا نظرة الغزاليّ المتفائلة إلى الإنسان ورؤيته الواضحة التي أثرت في الكثير من الفلاسفة الغربيين، خاصة فيما يمكن أن تؤديه التربية الخلقيّة في تعديل الطباع وتهذيب الأخلاق، وهذا يكاد يكون من المجمع عليه بين الباحثين في التربيّة وفلسفتها الحديثة.

ولقد وضع الغزالي فكرة هامّة في مجال تغيير الأخلاق، حيث يرى أنه ليس المقصود من تغيير الأخلاق استئصال الأخلاق المذمومة كالشهوة والغضب وحبّ الدنيا من النفس

[1]- الغزالي: إحياء علوم الدين، ج3، ص 73.

[2]- حسين عبد الحميد أحمد رشوان: التربية والمجتمع، ص 48.

[3]- نقلا عن محمد منير مرسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص 106.

كما ظنّ البعض، بل المقصود سياستها وتربيتها بالرياضة، وذلك لفائدة الصفات الإنسانية كلها للإنسان، ثم يشرح ذلك بقوله:" **إنّ الآدمي ما دام حيا فلا تنقطع عنه الشهوة والغضب وحبّ الدنيا وسائر هذه الأخلاق، فهذا غلط وقع فيه لطائفة ظنوا أن المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات ومحوها**".[1] لأن الشهوة خلقت لفائدة وهي من الضروريات بالفطرة، فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان، كما أنه لو انقطع الغضب لما استطاع الإنسان أن يدفع عن نفسه الأذى فيهلك، والذي يريده الغزاليّ هنا هو ردّ هذه الصفات إلى الاعتدال فوجب توفر مرشد ومربي يعمل على هذا.

لذلك كانت للغزالي طريقة أخرى في معالجة الخلق المذموم، وهو طريقة الوقاية منه قبل الوقوع فيه، وهذا عن طريق التربيّة فيكون بتعويد الطفل على ممارسة الأخلاق الحسنة والابتعاد عن الأخلاق السيئة، كما يجب إبعاده على كلّ ما يثيره ويبعث فيه الوساوس المختلفة، لهذا أفرد الغزاليّ بحثا خاصا في كتابه" الإحياء" تحت عنوان " بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوؤهم ووجه تأديبهم، وتحسين أخلاقهم"، وسأوضح بإيجاز هذا كما يلي:

**3-تربية الطفل على الأخلاق الحسنة:**

إنّ الغزالي يلقي مسؤولية التربية الحسنة على الآباء والأمهات وهذا من خلال تأكيده على أن الطفل أمانة عند والديه.[2] وأنه يولد صفحة بيضاء فهو قابل للخير والشرّ معا، وإلى كلّ ما يمال إليه فإن عوّد على الخير نشأ عليه، وإن عود على الشر نشأ عليه لذلك حدد الغزالي مجموعة من الصفات الأخلاقية التي ينبغي أن يتسم بها الطفل والتي يمكن أن يركز عليها الآباء والأمهات خلال تربية أبنائهم وهي كالآتي:

**-**التركيز على صفة الاعتدال في أخلاقيات الطفل، فالطفل ينبغي ألا يكون حاد المزاج مرهف الحسّ متوتر الأعصاب وأن لا يكون بارد الطبع، غير ميال لمعرفة ما يحدث حوله.[3]

---

[1]- الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج3، ص 74.

[2]- أنظر مقداد يالجن: دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، دار الشروق بيروت، ط1، 1983، ص 36.

[3]- إحسان محمد حسن: علم الاجتماع التربويّ، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2005، ص 44.

–على الطفل أن يتعلم آداب الأكل والشرب والجلوس على المائدة وارتداء الملابس المناسبة وأصول الحديث والكلام مع ضرورة تعويده على الخشونة في الملبس والمأكل .[1] لكي يواجه صعوبات الحياة بنفسه ويعمل على تذليلها ليسخرها لصالحه.

–ضرورة نيل الطفل لقسط من التعليم الديني والدنيويّ.[2] هذا التعلم الذي يحسن أحواله العامة والخاصة ويمكنه من التكييف مع مقتضيات الحياة والمحيط الذي يعيش فيه.

–تعليم الطفل الصدق في القول، واحترام الآخرين والابتعاد عن الغش وجلب الأذى للآخرين، كما يجب تربيته على الشجاعة والعدالة وعدم الخوف مع التزام جانب الأمانة والموضوعية في تعامله مع الآخرين.[3]

هذا باختصار أهمّ القيم الأخلاقية التي يجب زرعها في الطفل، من أجل الارتقاء بمستواه الفكريّ والأخلاقيّ والثقافيّ والعمل على تكييفه داخل المجتمع لكي يشارك فيما بعد في الرصيد الاجتماعيّ، ونلاحظ من كلّ ما عرضناه أنّ الغزالي كانت له خبرة كبيرة في مجال الأخلاق، ودراية كبيرة بالنفوس لا تقلّ شأنا عن البحوث ونظريات التربية الحديثة.

وننتهي إلى أنّ الغزالي من خلال هذا كان مؤمنا بفكرة أنّ الطفل يولد ناقصا ويكمل عن طريق التربية من خلال تهذيبه وتربية أخلاقه، وأنّ الأخلاق تتغير بتطوّر الإنسان فأقام منهجه في الأخلاق على مجاهدة النفس واكتساب الأخلاق الحسنة، وقد اعتبره "محمد يوسف موسى" فيلسوفا أخلاقيا مهمته العمل للوصول بقارئيه وخريجه إلى تحصيل فضائل الخلق، والسير بهم على الجادة حتى يصلوا إلى ما يرجوه لهم من سعادة [4] في الدنيا والآخرة.

والمتأمل في آثار الغزالي يجد أنه أقام التربية الأخلاقية على البعد النفسيّ، فالبعد الاجتماعي ثم البعد الدينيّ، ومنطلقه في كلّ ذلك قابلية الأخلاق والسلوك للتعديل، والمراد

[1]– أنظر الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج3، ص 94.

[2]– إحسان محمد حسن: علم الاجتماع التربويّ ، ص 44.

[3]– أنظر الغزاليّ: المرجع السابق، ص 95-96.

[4]– محمد يوسف موسى: فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلاتها بالفلسفة الإغريقية، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ط3، 1963، ص 195.

بالتعديل ما تحدثه التربية من زرع قيم إنسانية ترقى بالكائن الإنساني إلى مدارج السموّ تجعل منه مواطنا صالحا ينشد سعادة الدنيا والآخرة.

وهذا يدل على أن الغزالي كان يهدف من وراء التربية الخلقية إلى أهداف وغايات سامية تؤدي إلى رفع المستوى الروحيّ والخلقيّ والفكريّ والاجتماعيّ والدينيّ للفرد والمجتمع وهذا ما سنوضحه في العنصر الأخير من هذا البحث.

**المبحث الثالث: الأهداف والغايات**

يتضح من دراسة ما كتب الغزالي عن التربية والتعليم أنه أدرك جيدا أهمية التربية وأثرها في حياة الفرد والمجتمع، خاصة في بناء شخصية الطفل مما جعله يهتمّ برسم الطريق التي يجب أن يسير عليها كلّ مربي وكلّ متعلم، تطلعا لتحقيق أهداف وغايات نبيلة، أهمها:

**1-الكمال الإنساني:**

تحدث الغزالي عن الكمال الإنسانيّ فجاء قوله كالتالي:" **إنّ أشرف مخلوق على الأرض هو الإنسان...،هذا التشريف الكريم يدفع الإنسان دائما إلى بلوغ المزيد من الكمال**".[1] وذلك بالارتقاء النفس البشرية من مجال الحس إلى مجال التفكير الحرّ، وعدم الخضوع للأهواء والشهوات، وهذا ما سعى إليه الغزاليّ، لأنه كان يهدف لتكوين شخصية متوازنة تحقق السعادة.

فالكمال الإنساني غايته التقرب من الله، وتحقيق سعادة الآخرة، ثم الكمال الإنساني الذي غايته سعادة الدنيا لأن الغزاليّ لم ينس شؤون الدنيا، فأعد لها عدتها في التربية، لكنه اعتبر الإعداد لشؤون الدنيا والسعادة الدنيوية يوصلان إلى سعادة الآخرة، فالدنيا مزرعة الآخرة.[2] ويبلغ كذلك الإنسان الكمال باكتسابه الفضيلة عن طريق العلم فتسعده الفضيلة في الدنيا وتقربه من الله سبحانه وتعالى فتسعده بها في الآخرة.[3] ولقد ذكرنا في غير هذا

[1]- نقلا عن محمد منير مرسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص 54.

[2]- أنظر إحسان محمد الحسن، علم الاجتماع التربويّ، ص 42.

[3]- محمد عبد الرزاق شفشق: الأصول الفلسفية للتربية، ص 137.

الموضع عندما تحدث الغزالي عن فضيلة العلم وأهميته كيف أن العلم يجمع بين الدين والدنيا ففي الدين ثمرة العلم التقرب من الله، أما في الدنيا فالعزّ والوقار.

ولأن العلم أصل سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، يرى الغزالي أن الغاية والهدف من التربية هو تبليغ النفس كمالها عن طريق تغذيتها بالعلم، وهذا الهدف الذي سعى الغزالي لتحقيقه، كان لإيمانه القويّ بأن الانسان خلق ناقصا وهو قابل للكمال عن طريق التربية وبهذا سعى الغزالي إلى تكوين فرد صالح في ذاته آخذا بعين الاعتبار جمع أبعاد النمو الروحيّة والاجتماعية والعقلية والجسميّة.

**2-طلب العلم لذاته:**

بين الغزالي أن أهمّ هدف يمكنه أن تحققه التربية هو طلب العلم لذاته لأن العلم كما تحدثنا سالفا يراه الغزالي لذيذا لذاته فيكون مطلوبا لذاته، والذي يبحث عن السعادة في الدنيا والآخرة، عليه بالعلم.

لأن العلم والمعرفة هما وسيلتا المتعلم إلى سعادة نفسه، وهو كذلك فضيلة أخلاقيّة بدلالة ثماره، وفضيلة اجتماعيّة بدلالة احترام الناس، وأولي الجاه والسلطان لصاحب العلم فكان التعليم هو أشرف الصناعات، فإفادة الآخرين بالعلم النافع أشرف المهن، لأن به تهذّب النّفوس وتبعد عن الأخلاق المذمومة وتوجه نحو الأخلاق المحمودة.[1] وهذه هي الغاية الأساسية من تعلم العلم وتعليمه للناس حسب الغزاليّ، فالغزاليّ نبه في نصحه لطلبته أن يضعوا نصب أعينهم أن العلم يجب أن يطلب لذاته وليس لأجل الجاه أو الرياسة أو المباهاة أمام الأقران أو طلب حطام الدنيا، بل لكي يكون طلب العلم باعثا للسعادة في الدنيا والآخرة، يجب أن يكون طالب العلم، نزيها ومخلصا يبتغي من طلب العلم تهذيب نفسه وإصلاحها أولا لكي يكون فردا صالحا، ثم مصلحا يقول الغزالي:" **كم ليال أحييتها بتكرار العلم...، لا أعلم ما كان الباعث فيه، إن كان بنية عروض الدنيا، وجذب حطامها**

[1]- حسن جميل طه: الفكر التربويّ المعاصر وجذوره الفلسفية، ص 182.

**وتحصيل مناصبها والمباهاة على الأقران...، فويل لك**".[1] ويواصل الغزاليّ قوله:" ... **وإن كان قصدك إحياء شريعة النبيّ صلى الله عليه وسلم وتهذيب أخلاقك وكسر النفس الأمارة بالسوء فطوبى لك**".[2] بمعنى يجب أن نربي أولادنا على التزود من الدنيا للآخرة وهذا من خلال تربيتهم على النزاهة في طلب العلم، ولعلّ أفضل تربية هي التي تنشئ طالب العلم على الإخلاص في طلب العلم، فالغزاليّ على الرغم من تدينه وتصوّفه لم ينس أن العلم ينبغي أن يطلب لذاته، لما له من أهمية كبيرة في حياة الإنسان، لذلك اعتبر تحصيل العلم هدفا تربويا.

والشخصية التي سعى الغزالي إلى تحقيقها لن تتمكن من بلوغ السعادة إلا بعد أن تكون صوبت النية في طلب العلم، وأظن أن الغزالي قد أصاب حقّ الإصابة في هذا بعكس من يرى أن الغاية التي سعى الغزالي لتحقيقها انحسرت في معرفة الدين فقط، وأنه يسرف في هذه النظرة، بحيث يجعل تلاميذه يستغرقون جميع أوقاتهم في سبيل الدين وباسم الدين إلى درجة أنهم أصبحوا عاجزين عن مواجهة أعباء الحياة.[3] وهذا رأي مبالغ فيه نوعا ما لأنه كيف لشخصية مثل الغزاليّ وهب نفسه وكل ما يملك لخدمة أمته أن يكون على هذا الحال فكيف وأن الغزالي حث على طلب علوم الدنيا النافعة في حياة الناس مثل الطب والحساب وفرق بين منهج التصوّف الذي يؤدي إلى الاندماج مع الناس والارتقاء بمستوى الحياة إلى مراتب، وبين منهج المتصوفة الذي يدعو إلى هجر كلّ ذلك، باسم الانقطاع لله وعبادته.

فصوفية الغزالي كما رأينا من قبل لا تعني ترك السعي في الحياة، والانقطاع لله وهجر الناس بل هذا ما حذر منه الغزاليّ هو بنفسه وأدى به إلى أن ينتقد بعض طرق الصوفية التي تسير على هذا النحوّ، وهذا إن دل على شيء، إنما يدل على أن الغزالي قد فهمه بعض المتطرفين بعكس ما كان يريد.

---

[1]- الغزالي: أيها الولد، تحقيق إبراهيم حبيب، ص 24.

[2]- نفسه، ص 24.

[3]- أنظر أيوب دخل الله: التربية الإسلامية عند الإمام الغزالي، ص 147.

فالغزالي كان دائما يسعى إلى تحقيق شخصية مسلمة متميزة عن غيرها، وهذا التمييز لا يعني أنها ذات منعزلة منغلقة على الحياة، بل ذات متفتحة إيجابية.

**3-تربية النفس على الفضيلة:**

جعل الغزالي من بين أهمّ أهداف التربية هي تهيئة الإنسان في الدنيا بالخلق الفاضل والتوجيه بالعمل الصالح إلى الآخرة لأنه كما رأينا من قبل لم ينظر إلى الأخلاق على أنها مجرد نصح نظري بل هي عملية تغيير سلوك الإنسان في الحياة، لذلك كانت رسالته التربوية هي تكوين شخصية فاضلة عن طريق تربية النفس على الفضيلة، وتهذيب قوى النفس الإنسانية واكسابها العادات والأخلاق الحسنة.

فكان الشغل الشاغل للغزاليّ هو بناء إنسان أخلاقيّ لذلك كان دائما يسعى لغرس الأخلاق الحسنة في طلبته وتنقيتهم من الأخلاق السيئة، وبناء الفضيلة فيهم.[1]

ولا بد للإشارة أن مقصود الغزالي من تكوين إنسان فاضل هو إصلاح للحياة الدنيا من خلال توطيد العلاقات بين الناس وبنائها على أساس المحبة والإخاء والتعاون، فينشأ الناس تحت كنف واحد عنوانه الوحدة والعمل والمحبة والسلم، بعيدا عن الحقد والكره والفرقة لأن الغزالي كان دائما همه الأكبر لم شمل المسلمين تحت لواء واحد وكلمة واحدة، وهدف وغاية واحدة وهذه دلالة على اهتمامه بقضايا المجتمع الإسلاميّ.

ولأنه لم يغفل على الدعوة المتكررة لمحاسن الأخلاق، وضع جزء خاصا بالعادات من كتابه" الإحياء" تحدث فيه عن أخلاق المجتمع الإسلامي في كافة مجالات الحياة، فهو يرى أن الألفة ثمرة حسن الخلق، والتفرقة ثمرة سوء الخلق، يقول:" ... **فحسن الخلق يوجب التحاب والتوافق، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر**".[2] لذلك سعى الغزالي دائما إلى تكوين إنسان يتحلى بالأخلاق الحسنة لأنها أساس الاتحاد والقوة ولأن الأخلاق السيئة دائما كانت هي أساس الفرقة والتشتت وضياع الأمة.

[1]- لطفي بركات أحمد: في الفكر التربويّ الإسلاميّ، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية،ط1، 1982، ص 126.

[2]- الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج2، ص 198.

وإن كان من أحد يسعى لإيجاد مجتمع سامي الأخلاق، نبيل الأهداف فإن الغزالي يعتبر رائدا في وضع الصورة الحقيقة لهذا المجتمع، لأن المبادئ الأخلاقيّة النبيلة التي وضعها الغزاليّ جديرة بإيجاد مجتمع إنساني فاضل سليم من الضغائن والتنازع بعيد عن الفحش والرذيلة، وما ننتهي إليه من كلّ ما تقدم أن الغزالي كان يهدف دائما إلى توجيه طاقات الأمة الإسلامية توجيها سليما وإلى تكوين إنسان له طبيعة مرنة تستطيع التربية أن تشكلها وتوجهها نحو أهداف وغايات سامية وراقية.

تَمَّ بِحَمدِ اللّٰه

# خاتـــمةٌ

الخاتمة:

ومن خلال ما تمّ التطرق إليه في هذا البحث، تبين لي أنّ آراء الغزالي التربوية، كانت مستمدة من صميم الحياة التي حياها، ومن نواحي المعرفة التي حصل عليها ومن التجارب التي مرّ بها، ومن المشكلات التي صادفته في حياته متعددة الأطوار، حيث توصّل الغزالي من خلال تحليله لعصره أنّ هذا العصر على وجه العموم قد وصل إلى درجة من الانحدار العقليّ والخلقيّ والدينيّ، لذلك وجب إصلاحه وتقويم الاعوجاج فيه عن طريق التربية، فجعل الغزالي من التربية وسيلة لإصلاح الفساد وتحسين أوضاع أمته، وهذا لإيمانه الكبير بالدور الذي يمكن أن تلعبه التربية في إصلاح الفرد والمجتمع، فسعى إلى تحقيق كلّ الأهداف التربوية التي كان يطمح للوصول إليها بمنطلق فلسفيّ يدعو إلى الإسلام.

والمتتبع لآراء الغزالي التربوية يجدها تعكس فكره الديني والفلسفيّ معا، وذلك من خلال التجربة التي خاضها في الحياة فقد كان الغزالي مربيا عالما بالنفس البشرية وخفاياها متأملا فعاليتها وأحوالها، محللا بارعا للسلوك وخلجات الضمير، هذا ويعتبر الغزالي أقرب مفكر إسلامي إلى الابتكار في معالجة موضوع الطفولة برؤية علمية فهو في مشروعه التربويّ خير من نظر إلى النفس الإنسانية من حيث دوافعها وغرائزها وكيفية السموّ بها في مدارج الصلاح لضمان سعادتها في الحال والمآل، بالإضافة إلى أنّ الغزالي مارس التعليم معظم فترات حياته برؤية واضحة المعالم ورسم منهجا مفصلا لتربية الطفل وتعليمه وتأديبه وتحسين أخلاقه، فلا شكّ أنّ الغزالي يعتبر من الفلاسفة الكبار الذين وضعوا نظاما تربويا شاملا واضح الأهداف، ومحدد الوسائل.

كما أنّ الغزالي قد أدرك جيدا أنّ العلم وحده لا يكفي لأن يكون سلاحا للمعلم فلا بد أن يضاف إليه فنّ التربية ليتمكن المربيّ من دراسة نفسية الطفل بطريقة جيدة وصحيحة، وهذا يقودنا في ميدان دراسة نفسية الطفل بصورة متكاملة، ثمّ تربيته وفق لتلك الدراسة والتصوّر المتكامل لجميع الجوانب المكونة لشخصيته.

والغزالي من خلال فهمه للتربية أخذ بعين الاعتبار فطرة الانسان والطبيعة التي يولد عليها الطفل، فهي طبيعة تقبل الخير والشرّ معا، وهذا متوقف على نمط التربية التي يتلاقها الطفل وهو صغير، فالمسؤولية مسؤولية مربين، كما أن الغزالي استفاد كثيرا من موضوع مجاهدة النفس من خلال تربية الإرادة لدى المتعلم، لذلك يجب ربط الإرادة دائما بمثل أعلى يكون هذا المثل دافعا يشحذ الإرادة الانسانية ويوجهها نحو تحقيق الكمال لذاتية الفرد، زد عن هذا فإنّ الغزالي وفقا لرؤيته للطبيعة الانسانية يرى أنه يجب على المربي أن يتعرف على هذه الطبيعة

لدى طلبته لأنّ معرفتها تساعده على إصلاحها والجهل بها قد يؤدي إلى إفسادها مع تأكيده على مبدأ ضبط مكونات النفس باعتدال عن طريق التربية ويظهر دور التربية في ردّ القوى الانسانية إلى حدّ الاعتدال.

ولا شكّ أنّ الغزاليّ قد أشاد بالعلم والتعليم في مجال التربية أكثر من إشادته بشيء آخر، لأنّ الإشادة بالعلم هي إشادة بالتربية التي يعتبر العلم من أبرز دعائمها ومن ثمّ كان العلم أمرا لازما لتحقيق التربية الصحيحة لذلك فالغزالي عندما فكّر في وضع منهج دراسيّ للمعلم والمتعلّم وضعه وفقا لخطته التي رسمها للتربية بحيث تتماشى مع الأهداف التربوية التي وضعها، وعلى ذلك وصف العلوم وقسمها ووضعها في درجات تنازلية حسب المعايير التي كونتها لتقاس بها قيمتها من حيث نفعها للمتعلم أو ما تسبب له من ضرر، فوضع ما ينبغي أن تقوم عليه الروابط بين المعلم والمتعلم محددا مجموعة من الطرق التي تساعد على توثيق العلاقة بين الطرفين، وبهذا وضع حجر الأساس الذي ينبغي أن تسير عليه طريقة التربية والتعليم.

وفي حديث الغزاليّ عن المعرفة نجده يجمع بين التعليم الإنسانيّ الذي يقوم على تربية العقل والحواس والتعليم الرباني الذي يقوم على تربية القلب والوجدان، فبتعاضد التعليم الرباني والتعليم الإنسانيّ يرتقي الانسان إلى مرتبة الإشراق ويحصل على المعرفة اليقينية، فالتربية الصوفية عند الغزالي هي في الأصل خبرة مضافة في طرق التعامل مع ملكات الإنسان المتنوّعة وتربيتها وفقا لسلّم من القيم يتيح إنتاج سلوك إنسانيّ سويّ ومنضبط ومقبول فجاء مفهوم التربية الصوفية كنظام تربويّ أصيل ومتميز يؤسس لنفسه كتجربة فعالة في إيصال التربية إلى مداها في ضبط سلوك الفرد، وفقا لمنظومة قيمية وروحية وأخلاقية لذلك أطرها الغزالي في ثلاث مفاهيم أساسية جمعت بين التعليم الإنساني والتعليم الربانيّ هي التخلية والتحلية وصولا التجلية، وهذه الأخيرة هي المرحلة تظهر فيها الثمرة النهائية للتربية.

من خلال هذا ربط الغزالي الدين بالإنسان وجعله محور تغيير سلوكه نحو الأفضل، فجعل الفهم الواعي للدين هو المحرّك الأساسيّ لتغيير سلوك الانسان والارتقاء به، فالدين غدى عند الغزالي منهجا في الحياة، وليس مجرد طقوس ومظاهر خارجيّة وبالتالي أعطى للدين بعدا تربويا لحياة الانسان.

ونظرة الغزالي لتربية الأخلاق هي رؤية واضحة تعكس عمق رؤيته كفيلسوف ومربي يسعى إلى تربية إنسان فاضل، وهذا يمنح الأمل أمام المربين في قدرتهم على بناء أجيال سليمة والوصول بالنفس الإنسانية إلى أقصى درجات الكمال.

وفي النهاية يتضح لنا أنّ الغزالي أدرك جيدا أهمية التربية وأثرها في حياة الفرد والمجتمع، وخاصة في بناء شخصية الطفل لذلك اهتمّ برسم الطريق التي يجب أن تقوم عليها العملية التربوية، تطلعا لتحقيق أهداف وغايات ساميّة للوصول بالإنسان إلى أقصى درجات الكمال، فالغزالي كان دائما يبحث عن تحقيق إنسان متميز مقبل على الحياة وإيجابيّ يؤدي رسالته بطريقة سليمة ومتوازنة وصحيحة.

وفي الأخير أرجو أن أكون قد وفقت في تبليغ ولو القليل من أفكار الغزالي التربوية، ونسأل الله التوفيق والصّلاح للبلاد والعباد، إنه سميع مجيب والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

# فهرست
# الأعلام

# فهرست الأعلام:


| إسم العلم بالعربية | إسم العلم بالفرنسية | الصّفحة |
|---|---|---|
| ابن طفيل | Ibn Tufail | 78 |
| ابن ماجه | Ibn Majah | 78 |
| ابن مسكويه | Ibn Miskawayh | 83 |
| ابن سينا | Ibn Sina | 18 |
| ابن عربي | Ibn Arabi | 20 |
| ابن رشد | Ibn Rochd | 78 |
| ابن تيمية | Ibn Taymiyya | 07 |
| ابن خلدون | Ibn Khaldoun | 66 |
| الجويني | Al-Juwayni | 06 |
| السبكيّ | Sobki | 12 |
| الفارابي | Farabi | 18 |
| أفلاطون | Platon | 28 |
| أرسطو | Aristote | 83 |
| برترند راسل | Bertrand Russell | 33 |
| جون ديوي | John Dewey | 48 |
| دور كايم | Durkheim | 33 |
| ديكارت | Descartes | 50 |
| هوبز | Hobbes | 32 |
| كانط | Kant | 33 |

# فهرست

# الآيات

## فهرست الآيات:

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿الّذي أحسَن كُلّ شَيء خَلقَه وَبدَأ خَلق الإنسَانِ مِن طِين، ثمَّ جَعلَ نَسلَه مِنْ سُلالَة مِن مَاء مَهين، ثمَّ سَواهُ وَنفخَ فِيهِ مِنْ رُوحهِ وَجعلَ لَكم السَّمعَ وَالأبصَار وَالأفئدَة قَليلاً مَا تَشكُرون﴾ | 9-5 | 24 |
| ﴿إنّ فِي خَلقِ السَّمَاواتِ وَالأرضِ وَاختِلافِ اللَّيلِ وَالنَّهارِ لآيَاتٍ لأولي الألبَاب﴾. | 190 | 62 |
| ﴿اقرَأ باسْمِ ربِّكَ الذَّيْ خَلق﴾ | 1 | 35 |
| ﴿وَترى الأرضَ هَامدَةً، فَإذا أنزَلنا عَليهَا المَاء اهتَزَّت وَربتْ وَأنبتَتْ مِن كُلّ زَوج بهيج﴾. | 5 | 55 |
| ﴿فَإذَا سَوَّيتُهُ وَنَفَختُ فِيه مِن رُوحي﴾ | 29 | 24 |
| ﴿قُل الرّوح مِنْ أمرِ ربّي﴾ | 85 | 28 |

# قائمة

# المصادر والمراجع

**أولا–المصادر:**

1–القرآن الكريم.

2–ألكسيس كارل: الإنسان هذا المجهول، ترجمة شفيق أسعد فريد، مكتبة المعرفة، بيروت، لبنان، 1980.

3–الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق جميل صليبا، كمال عياد، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 2003.

4–الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق محمد مصطفى، أبو العلاء، محمد صابر، (ب ت).

5–الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق مصطفى البابلي الحلبيّ، ج1، القاهرة، 1939.

6–الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق بدوي طبانة، ج1 ، ج3، دار العلوم، القاهرة، (ب ت).

7–الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق إصلاح عبد السلام الرافعيّ، عبد الصبور شاهين، (ب ت).

8–الغزالي: إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، ج1،ج2،ج3،ج4،ج5، دار الحديث، القاهرة، 2004.

9–الغزالي: التبر المسبوك في نصيحة الملوك، تحقيق مصطفى أبي العلاء، شركة الطباعة الفنية المتحدة، مصر، 1967.

10–الغزالي: أيها الولد، تحقيق جميل ابراهيم حبيب، دار القادسية، السعودية، (ب ت).

11–الغزالي: أيها الولد، تحقيق صباح محمد عليّ كاظم، مطبعة العاني، بغداد، 1988.

12–الغزالي: فضائح الباطنية، تحقيق عبد الرحمن بدويّ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1964.

13– الغزالي: تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، ط6، (ب ت).

14–الغزالي: الوجيز في فقه الإمام الشافعيّ، تحقيق عليّ معوّض، عادل عبد الموجد، ج1، شركة دار الأرقم، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

15–الغزالي: أسرار الحجّ، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، 1992.

16–الغزالي: ميزان العمل، مكتبة عليّ وأولاده، 1963.

17–الغزالي: الجواهر الغوالي، تحقيق محي الدين الكردي، المطبعة العربية، مصر، ط1، 1922.

18–الغزالي: معيار العلم، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف مصر، 1963.

19–الغزالي: الأجوبة الغزلية في المسائل الأخروية ضمن كتاب القصور الغوالي من رسائل الإمام الغزاليّ، تحقيق محمد مصطفى أبو العلاء، مكتبة الجيهي، مصر، (ب ت).

20–الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، تحقيق أحمد ابن يحيا الأندلسيّ، الشهاب، الجزائر، (ب ت).

21–الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

22-الغزالي: روضة الطالبين وعمدة السالكين، دار النهضة الحديث، بيروت، لبنان، (ب ت).

23-الغزالي: الرسالة اللدنية، شركة الطباعة الفنية، القاهرة، (ب ت).

24-الغزالي: كتاب العلم من إحياء علوم الدين، تقديم رضوان السيد، دار اقرأ، بيروت، ط5، 1986.

25-الغزالي: مشكاة الأنوار، تحقيق أبو العلاء العفيفي، (ب ت).

26-الغزالي: الحكمة في مخلوقات الله، تحقيق محمد رشيد قباني، دار أحباء العلوم، بيروت، 1978.

27-ابن سينا: النجاة، تحقيق محي الدين الكردي، 1910.

28-ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق أحمد جاد، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 2007.

29-محمد قطب: منهج التربية الاسلامية، دار الشروق، بيروت، 1988.

30-عباس محمود العقاد: الانسان في القرآن، دار الهلال، (ب ت).

31-فليبب فينكس: فلسفة التربية، ترجمة محمد لبيب النجيحي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1965.

**ثانيا-المراجع بالعربية:**

1-إحسان محمد حسن: علم الاجتماع التربويّ، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2005.

2-أيوب دخل الله: التربية الاسلامية عند الامام الغزالي، المكتبة العصرية، بيروت،1996.

3-بهي الدين زيان: الغزالي ولمحات عن حياته الفكرية الاسلامية، مكتبة النهضة، مصر، 1958.

4-دحفاد يحيا صالح العسكري: الغزالي وجون دوي نظرتهما للطبيعة الانسانية، شبكة العلوم النقلية العربية،2013.

5- زَكيّ مبارك: الأخلاق عند الغزالي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1968.

6-زروق عبد الله حسن: نظرية المعرفة عند الغزالي، بيروت، لبنان، 1987.

7-حسين عبد الحميد أحمد رشوان: التربية والمجتمع، دراسة في علم الاجتماع التربوي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 2010.

8-حسن الفاتح قريب الله: دور الغزالي في الفكر، مطبعة الأمانة، مصر، 1978.

9-حسن جميل طه: الفكر التربوي المعاصر وجذوره الفلسفية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007.

10-يوسف القرضاوي: الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1994.

11-لطفي بركات أحمد: في الفكر التربوي الاسلامي، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1982

12- محمد الصادق عرجون: أبو حامد الغزالي المفكر الثائر، دار القومية للطباعة والنشر، (ب ت).

13-محمد يوسف موسى: فلسفة الأخلاق في الاسلام، وصلتها بالفلسفة الاغريقية، مؤسسة الخمجي، القاهرة، ط3، 1963.

14- محمد منير مرسي: التربية الاسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، القاهرة، 1983.

15-محمد عبد الهادي أبو زيد: تاريخ الفلسفة في الاسلام، دار النهضة العربية، بيروت، ط5، (ب ت).

16-محمد عليّ أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990.

17- محمد فاضل الجمالي: نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الاسلامي، الدار التونسية للنشر، 1972.

18-محمود حمدي زقزوق: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت، دار المعارف، القاهرة، 1998.

19-محمود حمدي زقزوق: مقدمة في الفلسفة الاسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2009.

20-محمود عبد الرزاق شفشق: الأصول الفلسفية للتربية، دار البحوث العلمية، الكويت، ط4، 1982.

21-محمود قاسم: في النفس والعقل لفلاسفة الاغريق والاسلام، القاهرة، 1954.

22-مناد طالب: العقل والعقلانية في الفكر الاسلامي، دار العلماء، الجزائر، ط1، 2010.

23-مصطفى النشار: فلاسفة أيقظوا العالم، دار قباء، القاهرة، ط3، 1998.

24-مصطفى غالب: الغزالي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1989.

25-مقداد يالجن: دور التربية الأخلاقية الاسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الانسانية، دار الشروق، بيروت، ط1، 1983.

26-سيد ابراهيم جيار: دراسات في تاريخ الفكر التربويّ، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1994.

27-سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، دار المعارف، مصر، 1965.

28-عامر النجار: نظرات في فكر الغزالي، شركة صفا للطباعة والنشر، 1989.

29-عزمي طه السيد: الوجه الآخر للفلسفة، مدخل معاصر، عالم الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015 .

30-عبد الحميد خطاب: الغزالي بين الدين والفلسفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

31-عبد الله القلي، فضيلة حناش: التربية العامة، الجزائر، 2009.

32-عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1984.

33-عبد النعيم حسنيين: سلاجقة إيران، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1970.

34-عبد القادر تومي: من حكم الفلاسفة، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ط1، 2011.

35-قدري حافظ طوقان: مقال العقل عند العرب، دار القدس، بيروت، (ب ت).

**ثالثا: المراجع بالفرنسية**

1-A.J.Wensinck : la pensée de Ghazzali, paris,1904.

**رابعا: الموسوعات والمعاجم**

1- ابن منظور: لسان العرب، تقديم عبد الله عليّ الكبير، دار المعارف، القاهرة، (ب ت).

2- أندريه لالاند: الموسوعة الفلسفية، ج1، مادة التربية، عويدات للنشر والطباعة، لبنان، 2008 .

3- جورج طربيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006.

4-جميل صليبا: المعجم الفلسفي،ج1، مادة التربية، دار الكتب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.

5-عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية، دار رشاد، ط1، 1992.

**خامسا: المجلات والدوريات**

1-أوسرير محمد: " التربية الاسلامية الصوفية من مجتمع المخاطر إلى الأمن الاجتماعي"، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، العدد 16، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

قال الغزالي:

" أحدٌ لم يولد عالما، إنما العلم بالتعلّم "